

أرسين لوبيڤ

أرسين لوبيڤ في نيويورك



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي "موريس بلان" وقد لاقت إقبالأً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والانتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .
إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس .
وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوربا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .
فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

أرسين لوبين في نيويورك

(٩)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص ب ٣٧٤ جونية - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب
وبأية وسيلة إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر .

مقدمة

ارسل الخطاب في اول الامر إلى السكرتير كما تقتضي بذلك النظم واللوائح... ثم حول إلى مكتب تحقيق الشخصية ومنه إلى مكتب الأبحاث الجنائية ومنه إلى المباحث العامة . واخيرا استقر به المطاف بين يدي "آرثر كيتروم" المدير العام للبوليس .

وهذا الخطاب وثيقة خطيرة يلذ للمرء الاطلاع عليها على الرغم من ان كاتبها هو المفتش تيل الذي لا يجيد إلا الاساليب المفككة الركيكة وهذا نص الخطاب :

"من إدارة سكوتلاند يارد بلندن
إلى مدير بوليس مدينة نيويورك
سيدي العزيز

يجب ان نخطرك بان لدينا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد بان ارسين لوبين رحل عن هذه البلاد وأنه موجود في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر.

ونرفق طي هذا صورة فوتوغرافية له وبياناً باوصافه وسوابقه اما بصمات أصابعه فلم يتيسر لنا الحصول عليها حتى الآن .
وسيتضح لك من الاطلاع على قائمة السوابق المرفقة بهذا انه يجدر بك - مراعاة لمصلحتك - بان تراقب حركاته وسكناته إذا أمكنك الاهتمام إليه .

"المخلص"

"و . تيل"

كبير مفتشي البوليس السري

وهذا نص الأوصاف المرفقة بالخطاب :

"ارسين لوبين" (معروف بهذا الاسم اما اسمه الحقيقي فمجهول)
العمر : غير معروف على وجه التحديد - الطول ست اقدام ويوصلتان -
الوزن حوالي ٨٠ كجم - العينان زرقاوان - الشعر اسود - البشرة
أصبل إلى السمرة - يكتفه اليسرى ثوب نتيجة لطلق ناري

‘ميوله وطباعه : حسن الهندام محب للأناقة ذو ذوق ممتاز - مولع بالترف والرفاهية ولا ينزل إلا أفخم الفنادق - خبير في قذف المدي وإصابة الهدف - طيار بارع - يتكلم عدة لغات بطلاقة تامة’
أما قائمة السوابق فكان هذا نصها :

‘ له في فرنسا تاريخ قديم لا مجال للدخول في تفصيلاته . وقد ظهر في إنجلترا مرة أو مرتين على عهد البوليس السري الشهير شرلوك هولمز . ولكننا عرفناه للمرة الأولى منذ خمس سنوات في حادث السطو على بنك شيكاغو إذ تقدم إلينا وتعهد بأن يقتفي أثر اللصوص فقبلنا اقتراحه وقد نجح فعلا في استرداد المال المسروق ولكنه استولى على عشرة على سبيل المكافأة وأعاد إلى البنك التسعة أعشار .

‘وبعد زمن وجيز ساقته مغامراته إلى حرب عوان مع المجرمين والقتلة . وكان سببا في القبض على كثيرين من زعماء العصابات ومهربي المخدرات وتجار الرقيق الأبيض ومنافسيه في ميدان الاحتيال .

‘واستمر نشاطه إلى أن غادر إنجلترا منذ ستة أشهر’
‘وهناك مسألة أخرى مؤكدة وهي أن أرسين لويين كان يخرج من جميع مغامراته بغنائم مالية لا يستهان بها حتى ليقال بأن له في البنوك رصيда لا يقل عن نصف المليون جنيه’

‘وتناول مدير البوليس الصورة الفوتوغرافية المرفقة بالخطاب فجعل يتأملها هنيهة ثم مضى يقرأ الخطاب للمرة الثانية وهو يهرش رأسه مفكرا .

‘وكان وجهه متجعدا كثير الغضون .
وكانت هذه التجمعات هي الجزء الوحيد الذي ظفر به من وراء جهاده الطويل ضد الجريمة والمجرمين في خلال الأربعين سنة الماضية وهو عهد كان فيه المجرمون أصنافا لأعداء المجرمين . عهد كان فيه حماة القانون يمشون متباطئين ذراع أعداء القانون ...

ولما فرغ مدير البوليس من تلاوة الخطاب للمرة الثانية التفت إلى جلسيه وقال:

- وهل تعتقد أن لذلك علاقة بالخطاب الذي تلقاه أربول ؟
فأزاح المفتش جون فرسك قبعته إلى الوراء وأحنى رأسه في حركة
سريعة مقتضبة . ثم أوما بإصبعه إلى ورقة أخرى موضوعة على
مكتب مدير البوليس وقال:

- إنني أرجح ذلك ... ألم يقل مفتش سكوتلاند يارد إن هذا الرجل ..
ما اسمه .. ؟ اه .. أرسين لوبين .. قاد في بعض أطوار حياته حربا
على الجريمة والمجرمين .. ؟ إنني لا يخالجنى الشك في أنه صاحب تلك
الرسالة التي وصلت أربول .
فقال مدير البوليس متسائلا:

- وإلى أي مرحلة بلغنا في قضية أربول ؟
فأجاب المفتش فرسك في لهجة تدل على الحنق:
- إلى لا شيء ... ستنظر قضيته بعد ظهر اليوم أمام محكمة
الجنايات .. ولكن ماهي النتيجة .. ؟ التاجيل طبعاً كالعادة !
وأطلق فرسك من فمه بصقة كبيرة دلالة على غيظه .. وكان يقصد
طبعاً أن يجعلها تستقر في الميصقة ولكنه أخطأ الهدف فسقطت على
السجادة النفيسة واستتلى المفتش قائلاً:

إنك لا تجهل ما يحدث في هذه الأحوال .. إنني لم أقم بعمل إحصائية
فإنني ضعيف في الحساب كما تعلم ولكنني على يقين من أن هذه هي
المررة الثلاثون التي أجلت فيها هذه القضية .. نعم فكلما مثل أربول
أمام المحكمة استطاع أن يظفر من القاضي بتأجيل قضيته ... فإذا
تكرنا أنه قد مضت سنتان على مقتل "إنسكي" فهناك أمل في أن يرى
أحفادنا اليوم الذي يصدر فيه الحكم .. هذا إذا ظل أربول على قيد
الحياة ولم تقض عليه الشيوخوخه وكبر السن .

وللمرة الثانية بصق فرسك .. وللمرة الثانية أخطأ الهدف !
ومال فرسك إلى مكتب رئيسه ووضع فوقه قبضته الضخمة ونظر
إلى كيتروم بعينين تبرقان كأنهما جمرتان من النار وصاح قائلاً في
صوت أجش:

- لقد مر بي زمن تمنيت لو كان في "نيويورك" رجل من طراز "أرسين
لوبين" يقوم بمثل هذه الأعمال التي يشير إليها هذا الخطاب .. بل لقد

خطر لي في بعض الاحيان ان اقوم انا نفسي بهذا العمل فاريح هذه البلاد من شر هذه العصابات بقتل زعمائها اعداء الإنسانية الالءاء .
لو كان عندنا رجل مثل ارسين لوبين لما قامت للجريمة الوحشية قائمة في هذه المدينة .

كان إنسكي زميلا لي عندما كنت ضابطا في فرقة البوليس قبل ان انتقل إلى قسم الأبحاث السرية . ولقد عرفته شرطيا جسورا لا يهاب الخطر .. وانت تعرف طبعاً ما اعني فقد كنت انت نفسك من رجال الشرطة قبل ان تتدرج في المناصب الإدارية .. لقد عانيت بنفسك المتاعب التي يعانها الشرطيون وكابيت ما يكابدون وقاسيت ما يقاسون فإذا قلت لك إن إنسكي كان جسورا فلا شك انك تفهمني حق الفهم .

وكان فرساك يشد قبضته على حافة المكتب وهو يلقي بهذه الكلمات لفرط انفعاله .

ثم استطرد قائلا :

- نعم .. كان إنسكي جسورا .. من المحتمل انه لم يكن ذكيا ولكنه كان جسورا .. إنه ليقتف بنفسه وسط المعمة بدون ان يذبض في صدره عرق بالخوف .. ففي الوقت الذي يتوارى فيه رجال الشرطة جبنا يتقدم إنسكي إلى الميدان بلا رهبة أو وجل .. واخيرا يأتي هذا الفار الحقيقير اربول فيطلق عليه النار ويرديه قتيلاً !

ولزم كيتروم الصمت بدون ان يجيب بكلمة واحدة . بل لقد كان جامداً على مقعده كأنه صخرة لا تتحرك . ولكن عينيه كانتا مستقرتين على وجه ذلك الرجل الغاضب الحائق الجالس امامه .. كان ينظر إليه في عطف وشفقة لأن كل جارحة من جوارحه كانت تصرخ وتنادي بان المفتش فرساك على حق فيما يقول .

وتابع فرساك حديثه بقوله :

- ونقبض على اربول .. والدنيا بأسرها تعرف انه هو القاتل .. ولكن ما الفائدة ؟ لقد استطعنا ان نجبره على الاعتراف بما فعل .. ولكن اية قيمة لهذا الاعتراف في نظر القانون .. او بعبارة اخرى في نظر هؤلاء القضاة المرتشين الخربي الزمة الذين يصرون احكامهم

باسم العصابات لا باسم العدالة .. فالقصاص الوحيد الذي نزل به
"أربول" هو ما ناله منا من تعذيب .. لقد ضربناه حقيقة ضربا مؤلما
مبرحا بهراوة من المطاط لا تترك أثرا . ولكن الهراوة لا يمكن أن تكون
معادلة لرصاصة تزهق الروح .. رصاصة "أربول" قتلت "إنسكي" ..
ولكن هراوتنا لا يمكن أن تقتل "أربول" .. هراوتنا لن تجعله يقتلوا
ويعض الأرض بغم تنبثق منه الدماء .. هراوتنا لن تجعله يترك وراءه
زوجة لا عائل لها وأطفالا مساكين ينادون أباهم فلا يلبي النداء ..
وبالاختصار هراوتنا لن تقتل .. ! ولكنها افادت بأن جعلتنا ننتزع منه
اعترافا بجريمته فما الذي حدث بعد ذلك ؟

هذا الاعتراف كفيلا بأن يجعل القاضي يصدر على القاتل حكما
بالإعدام .. فهل أصدر القاضي هذا الحكم ؟ كلا .. ولماذا ؟ لأن هناك
رجلا سياسيا يسيطر نفوذه على هذا القاضي .. وهذا السياسي لم يفز
بمقعده في البرلمان إلا بمساعدة نفر من رجال العصابات الذين يرهبون
الناخبين ويهددونهم حتى يعطوا أصواتهم لمرشح بون آخر .
والسياسي هو الذي ينتخب القاضي ويعينه فالمسألة حلقة مفرغة ..
العصابات تعين النائب .. والنائب يعين القاضي .. والقاضي هو الذي
يحاكم العصابات .. فهل تنتظر بعد هذا أن يصدر حكما بالإعدام ؟
إنه مضطر أن يرضي السياسي الذي عينه .. والسياسي مضطر أن
يرضي العصابة التي ساعدته .. ونتيجة هذا الإرضاء براءة المتهم
ونهب دم القتل هورا ..

ولو كان الأمر مقصورا على السياسي الذي يأمر القاضي لهان
الخطب . ولكن هناك ذلك المحامي الذي يتقدم إلى المحكمة بالآلاف من
الحيل والخدع وأيلة الذفي الملفقة .. وهناك المحاكمات الصورية
المضحكة التي يقوم بها قاض مرئش خرب الذمة ومخلفون مرئشون أو
مهنون .. ووكيل نيابة يتناول من العصابة مرتبا أضعاف المرتب
الذي يتقاضاه من منصبه .. وهناك التاجيلات والإفراج بالضممان
والطعون والنقض والتماس العفو .. وكل هذه الألاعيب التي وضعها
القانون خدمة للعدالة فكانت حريا على العدالة .. ! فما الذي تنتظره
بعد هذا ؟ أيمن أن تكون السيادة للقانون والأحوال على ما نرى ؟

هذا هو "أربول" لقد قمناه إلى المحاكمة ولكنهم أجلوا قضيته مرة بعد مرة .. وشهراً بعد شهر .. حتى يصبح الناس وقد نسوا ان هناك شرطيا يدعى "إنسكي" قتل غدا .. وأن هناك مجرماً يدعى "أربول" هو الذي قتله .

وأخيراً يطلقون سراحه ويبرئونه من التهمة التي تعلم الدنيا بأسرها انه هو مرتكبها .. !

وهب انهم أرسلوه إلى السجن . فهل يضيره السجن . !
إنه يعيش في داخل السجن خيراً مما كان يعيش في خارجه .. يباح له التدخين .. والاصغاء إلى الراديو .. ومقابلة الاصغاء والاعوان وتمضية الوقت في القراءة ولعب القمار .. وبعد بضعة شهور يأمر محافظ السجن بالإفراج عنه بحجة انه كان حسن السير والسلوك .. ! فإذا أعوزتهم هذه الحجة أحضروه أمام "لجنة الشرف" فتربت اللجنة على كتفه في رفق وعطف وتقول له :

- هل تقسم يا بني بأن تكون ولدا طيبا مطيعا .. ؟

- نعم أقسم

- إذن عد إلى بيتك "يا شاطر" وكن ولدا عاقلاً ولا تغضب "ماما" . !
وهكذا تفتتح أبواب السجن لتخرج إلى العالم وحشاً في صورة إنسان .

ولا تكاد تمضي على خروجه بضعة أيام حتى ينهال الرصاص على شرطي آخر وتندرج جثته إلى بالوعة القانورات دون أن يحفل أحد بالدم المراق .. ! وهكذا يهوي رجال الشرطة واحداً بعد الآخر دون أن يعبا بهم إنسان كانهم فلران حقيرة لا تدر لها ولا أهمية !
وكان المفتش "فرساك" يلقي هذا الخطاب بلهجة حماسية وصوت متهدج اجتمعت في نبراته الأم السنين الماضية . وكيتروم ينصت إليه دون أن يقاطعه بكلمة واحدة .

ولم يكن هناك في الواقع ما يدعو إلى المقاطعة فما نطق "فرساك" إلا بالحقيقة وما كانت كلماته إلا أصبغ تعبير عن الحالة التي انحدرت إليها العدالة في تلك البلاد .

ونظر "فرساك" إلى الصورة الموضوعة على المكتب وقال :

لقد أرسل هذا الرجل المدعو "أرسين لوبين" خطاباً إلى "أربول" يقول له فيه :

"إذا أقلت من عدالة المحكمة فلن تقلت من عدالتي .. إن القصاص سيلحقك حيثما كنت .. فإذا برأتك المحكمة وخرجت إلى الطريق تبتسم وتزهو وسط أصحابك فلن تصل إلى بيتك .. ستكون هذه آخر مرة تزهو وتبتسم فيها .. إن شعاري : سن بسن وعين بعين ونفس بنفس .. لقد قتلتي "إنسكي" فيجب أن تقتل .. فإذا قصرت المحكمة في تلبية رسالة العدالة فإنني لن أقصر !"
وسكت "فرسك" هنيهة ثم استطرد قائلاً :

- وإذا صبح مانكره المفتش تيل في خطابه فإنني اعتقد أن "أرسين لوبين" لن يتردد في تنفيذ وعيده .. وصنقني أني لن ألومه إنني أنا نفسي افكر في أن الحل الوحيد هو أن أتولى بيدي قتل "أربول" وإقامة العدالة التي يخنفها أولئك الرجال المفروض فيهم أن يكونوا خداماً للعدالة !

ولكن ما الذي سيحدث إذا قتل "لوبين" هذا الشقي "أربول" ؟ ستقوم الدنيا وتقع .. وستنادي الصحف بالويل والثبور .. وسيصرخ أعضاء البرلمان الذين عينتهم العصابات منادين بضرورة القبض على القاتل .. وسيذكرون عند ذلك - وعند ذلك فقط - أن هناك دماً أريق !

وإذا ذاك تصبح مهمتي هي مطاردة "أرسين لوبين" ومحاولة القبض عليه فهل هناك مهزلة أكبر من هذه ! أقبض على الرجل الذي اعتقد أنه لم يفعل إلا الواجب ! أقدم إلى القضاء الرجل الذي فعل ما كان يجب أن أفعله أنا .. أو أنت أو أي رجل له ضمير حر شريف في هذه البلاد ! لعمرى إنني لأفضل أن انطلق في الطرقات شريداً جائعاً فقيراً عن أن أضع يداً على "أرسين لوبين" !

وكان المفتش "فرسك" يرتعد لفرط انفعاله والكلمات تتدفق من فمه كالسيل .

فلما سكت نظر إليه مدير البوليس في هدوء ثم تكلم للمرة الأولى بعد ذلك الصمت الطويل فقال :

- "فرسك" .. يجب أن تؤدي واجبك .. قبل كل شيء .. فصاح

فرساک قائلا :

- نعم .. ساؤدي واجبي كما ابنته من قبل .. كما ابنته في خلال تلك السنوات الطويلة الماضية .. اكنس الارض .. واجمع القمامة . واقدمها إليهم ليحرقوها .. فلا يكون منهم إلا أن ينثروها ثانية على الأرض وتناول كيتروم الأوراق الموضوعة أمامه وجعل ينظر فيها . وساد الغرفة سكون شامل جعلت كلمات فرساک في خلاله تتجاوب وتدوي وترعد حتى لكانها وشيكة بأن تهز المقاعد وتحطم النوافذ وأخرج فرساک منبذله من جيبه فمسح به جبينه الذي كان يتصبب عرقا . وأرسل بصره إلى الطريق منصتا إلى جلبة المركبات ودوي السيارات وغوغاء السابلة .. وقد خيل إليه أن هذه الضجة إنما هي صدى تلك الثورة العاتية التي اصطخبت في أعماق نفسه .

وسعل كيتروم وقطع حبل السكون بقوله :

- ألم تعثر بعد على "أرسين لوبين" ؟

وكان صوته هادئا لطيفا وخاليا من أية لهجة تنم عن اللوم أو التقرع .

فاجابه فرساک في اقتضاب :

- كلا .. لقد عهدت إلى " كيتري " و " بوناشي " بالبحث عنه . وقد طافا بالأمس باغلب الفنادق الكبيرة .

وأحني كيتروم رأسه وقال :

- إذا أسفرت تحرياتك عن نتيجة فانبئني .

ونهض فرساک واقفا ومشى إلى الباب منصرفا .

وفي منتصف الساعة الرابعة أرسلوا في استدعائه ليتولى التحقيق في مقتل "جاك أربول" .

إن فن فقد بدا " أرسين لوبين " يعمل !.

الفصل الأول

دخلت الراهبة إلى الجناح الذي يشغل الطابق الأعلى من فندق استوريا باستعمالها مفتاحا أخرجه من تحت طيات ثوبها الأسود السايغ مما جعلها تحسره عن ساقبها - وقد يبدو هذا العمل لأكثر الناس تساهلا غريبا إلى حد ما .

ولما أوصدت الباب خلفها أخذت تصفر - وهذا العمل أيضا يبدو أكثر غرابة من سابقة في نظر أشد الناس تساهلا .

ولما عبرت قاعة الاستقبال تعثرت في السجادة فتملمت تقول :
" اللعنة " في صوت خشن لا يليق إلا بالرجال - وهذا العمل منها كليل بلا شك بأن يثير أشد الناس تساهلا إلى درجة تجعله يحملق مذهولا .
ولكن الرجل الذي كان جالسا في القاعة لم يحملق ولم تبد في وجهه امارات الذهول وإنما رفع عينيه عن الكتاب الذي كان يطالع فيه ونظر إلى الراهبة باسم .

وكان هذا الرجل طويل القامة عريض المنكبين وخط المشيب رأسه وفي الغضون المنتشرة في وجهه ما ينم عن الألم والحزن وطول المقاساة .

وتكلم الشيخ قائلا :

- كيف الحال .. ؟

فاجابته الراهبة بقولها :

- على ما يرام .

ثم نزعت الوشاح الأسود الذي يغطي رأسها وأخذت تفك أزرار ثيابها ثم خلعتها دفعة واحدة وألقت بها على الأريكة وهي تتنفس الصعداء .

ولكن الشيء الغريب أن هذه الراهبة انقلبت في غمضة عين فإذا هي رجل مديد القامة مفتول العضلات في عينيه مرح ودعابة وفي ابتسامته تهكم وسخرية وفي ملامحه ما يدل على إرادة من حديد .
وارتقى الرجل على أحد المقاعد وبسط ساقيه أمامه فقال له الشيخ العجوز :

- لقد جازفت بحياتك يا "كوبين" مجازفة خطيرة .

ضحك كوبين ضحكة رقيقة وقال وهو يشعل سيجارته :

- إن حب المجازفة يا عزيزي "بيل" يجري في عروقي مجرى الدماء .

وما يمر يوم إلا قنلت بنفسي في مغامرة جديدة حتى لقد أصبحت المغامرات عندي شيئا عاديا أشبه بتناول الطعام فلا تثير في اهتماما .

فهز الآخر رأسه وقال ناصحا :

- ولكن كان ينبغي أن لا تضاعف الخطر بتنبيه الانهال إلى ما

تنوي .

- اتقصد هذا الإنذار الذي أرسلته إلى "أربول" ... ؟ تلك هي عانيتي

يا صديقي .. لا أقدم على عمل إلا إذا انذرت خصمي باليوم والساعة

والدقيقة حتى يتخذ الاهبة لاستقبالتي .. فلو لم أُنذر "أربول" لفسدت

بنلك سمعتي ولقال الناس : إن "كوبين" أقدم على فعلته دون أن يرسل

الإنذار المعهود خوفا وجبنا .. فهل ترضى أن يقال إنني جبان وعديد !

كلا .. كلا إن "كوبين" لا يخاف ولا يهرب حتى رجال العصابات

المنججين بالمستندات والمدافع الرشاشة .. إن "كوبين" هو "كوبين" سواء

كان في فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا ... !

وضحك "كوبين" مرة أخرى وكانت ضحكته رنانة طليقة تدل على أن

صاحبها يحمل بين جنبيه قلبا خاليا من الهموم .

واستطرد "كوبين" قائلا :

- وهذا هو ما دعاني إلى أن أرسل إنذارى إلى "أربول" .. لست أنكر

أن هذا الإنذار زاد الموقف دقة وصعوبة ولكنه هيا لي فرصة أظهر فيها

ذكائي ونبوغي .. ولقد كان الأمر سهلا بل أسهل مما كنت أتوقع .. كان

مستسى مخبا تحت طيات ثيابي .. تحت هذه العباءة البديعة التي

تلبسها الراهبات لخدمة الدين فلبستها أنا لخدمة العدالة .. وعندما

رايت "أربول" خارجا من دار المحكمة مزهوا مبتسما لأنها أبرأت

ساحته أطلقت عليه النار .. وكانت رصاصة واحدة ولكنها كانت كافية

لأن "كوبين" لا يخطئ الهدف .. وفي اللحظة التي دوى فيها الطلق

الناري انطلقت أجري .. ولكنني لم أجد هاربا وإنما جريت صوب

القتيل وانحنيت فوقه وأنا أرسم علامة الصليب على صدره وجعلت

أحبه على أن يعترف بتنبؤيه ليغفرها الله له .. والناس ينظرون إلي حامدين الأقدار التي قبضت للمصاب راهبة يعترف على يديها قبل أن يلفظ النفس الأخير !

وفي اللحظة التي كنت جاليا فيها إلى جوار القتل كان رجال البوليس ورجال العصابة يبحثون عن القاتل وينظرون إلى كل من في المكان نظرات شرراء فاحصة . ولكن احدا منهم لم يفكر في أن يلقي نظرة واحدة إلى الراهبة المقدسة الطاهرة .. !
وضحك الكهل وقال :

- إنك نابغة .. !

وأخرج كويين مسدسه من جيبه وجعل ينظف ماسورته مما بها من أثر البارود المحترق .

وساد الصمت هنيهة ثم قال كويين :

- إنك تعرف طبعاً يا عزيزي "بيل" أني رجل لا أسفك الدماء .. وعلى كثرة الجرائم التي ارتكبتها لم ألوث يدي بقطرة واحدة من الدم اما الآن فالأمر مختلف جدا .. كان من عابتي أن أجمع الأدلة ضد القتل ثم أسلمهم للعدالة فتقتص منهم . ولكن هذه الخطة لن تجدي في هذه البلاد فإن لبعض قضاتكم ذمما مطاظة فالمجرم يقدم إليهم والدليل ثابت عليه ولكنهم يفرجون عنه لأسباب أنت أدرى بها مني .. فالعدالة في هذه البلاد مهیضة الجناح مهشمة الساق .. وقد جئت لكي أكون سيفها المصلت وخادمها الأمين .. فرجل العصابات الذي لا تدينه المحاكم ولا تقتص منه لن يفلت من قصاصي أنا .. وإنه لقصاص العدالة الحقة !

وسكت كويين ثم استرسل قائلاً :

- إنني رجل لم أعتد أن أسفك دماً .. ولكن قتلي "أربول" وأمثال "أربول" لا يمكن أن يعد جريمة .. إنهم يطغون ويعيثون في البلاد فساداً فيطلقون النار ذات اليمين وذات الشمال ويختطفون الأطفال الأبرياء فيقتلونهم دون رحمة أو شفقة . فهل أكون مجرماً إذا قتلت أنا هؤلاء الرجال ؟ لا سيما إذا ذكرنا أنهم دائماً يفلتون من القانون فقال "بيل" مؤيداً :

- لو انني كنت قاضيا لأطلقت سراحك و لأمرت بإقامة تمثال
تمجيда لك .. إن العدالة في هذه البلاد كما تقول انت في حاجة إلى من
ينفذها .

ومشى الشيخ العجوز إلى النافذة ووقف ينظر منها إلى الطريق وقد
عقد يديه خلف ظهره . والتفت فجأة إلى كوين وقال :

- لقد حضر إلى هنا اليوم كيتري و"بوناشي" .

واستمر كوين يصفر بضع لحظات ثم تمتم قائلا :

يؤسفني أني لم أكن حاضرا لاستقبلهما . فإني متلف إلى مقابلة
بعض رجال البوليس الأمريكي لأرى إن كانت الحقيقة منطبقة على ما
أشهده في الأقدام السينمائية .

فابتسم "بيل" وقال :

- إن الفرصة لن تفوتك على أي الأحوال لأنهم الآن يسعون في إثرك .
وإذا كان كيتري و"بوناشي" قد أخفقا في الاهتمام إلى مقر "أرسين
كوين" فليس مرجع ذلك إلى غباوتهما وسوء تصرفهما . وإنما إلى
الحيلة التي لجأ إليها كوين ليخدع الباحثين عنه .

لقد مضى الشرطيان يتنقلان بين الفنادق والمباني والبنسيونات
المنتشرة في أنحاء المدينة . مشيا حتى كلت منهما الأقدام وفحصا
أسماء الفزلاء حتى تورمت منهما العيون ، وفكرا حتى ركد منهما
الذهن . ومع ذلك لم يسفر هذا البحث الشاق الطويل عن أية نتيجة .
إلا طبعاً اضطراهما إلى شراء أذن جديدة .

وأخيرا خطر لهما أن يلجأ في البحث إلى طريقة أخرى فمضيا
يسالان كتبة الفنادق وخدم المطاعم عما إذا كانوا قد راوا رجلا أذيق
العينين أسود الشعر . طوله ست أقدام وبوصتان . ووزنه حوالي ٨٠
كجم . ويكتفه اليسرى نخب قديم .. كما جاء في الأوصاف الواردة من
إدارة سكوتلاند يارد ١

ولكنهما غفلا عن الشيء الوحيد الذي كان ينبغي عليهما أن يعلماه
وهو أن يسالا مستر "ويليام فالكروس" المقيم بفندق استوريا عن
سائقه الجديد وأن يتحررا عن شخصيته .

وقال كوين :

- لو أن رجال البوليس عثروا علي لجرى بيننا حديث ودي وانت تعلم اني لا احب الاحاديث الوبية .

واخذ يقلب بين يديه مسبسه الذي كان لا يزال ماضيا في تنظيفه ثم رده إلى جيبه ومشى إلى النافذة ووقف إلى جوار صاحبه 'ويليام بيل فالكروس' .

وكانت المدينة منبسطة امامهما بعماراتها الشاهقة التي تنطح السحب وأبراجها العالية التي شقت طريقها في الجو كأنما تريد أن تبلغ السماء .

فهناك على مرمى البصر كانت تقوم تلال جرداء لا حياة فيها ولكن الأرض ضاقت بالإنسان فأحال التل المجنب مدينة عامرة بالحياة وبالناس ولم يقنع بهذا بل أطلق أبنيه في الهواء كأنما يزاحم الطيور في أجوائها .

وتنهذ 'فالكروس' وقال في صوت فيه نبرة رقيقة عطوف :

- لقد كنت أقيم هناك .

ثم هز كتفيه في غير اكترات وقال :

- هناك كثيرون يقولون أن نيويورك مدينة لا رواء لها لا تلبث النفس أن تمجها . ولكنني أؤكد لك اني احبها واحب تلك الايام التي امضيتها فيها قبل أن اضطر إلى الرحيل عن بيتي والإقامة في الفنادق ولم يقل 'لوين' شيئا .

كان 'فالكروس' مثالما متوجعا لأنه رحل عن بيته واقام في فندق لايبعد عن هذا البيت أكثر من بضعة اميال . فماذا يكون من أمر 'لوين' وبينه وبين داره ثلاثة الاف من الاميال !

واسترسل 'فالكروس' قائلا :

- ولكني لا استطيع أن أعود إلى بيتي إلا إذا انتقمتم لهذه الروح الطاهرة التي أزهقها هؤلاء الأشقياء . اني ما مشيت في داري خطوة واحدة إلا انتصب امامي وجه طفلي المحبوب وصاح 'بي' : 'ابي انتقم لي ... انتقم لي' ولهذا أرسلت إليك

وتنهذ 'فالكروس' ثم استلقى قائلا :

- نعم كان يجب أن ألجا إليك لأن اعدائي اقوى مني . اني رجل

عجوز طاعن في السن ولا قبل لي بالقتال . اما انت فما تزال قويا نشطا . فانتقم لي . بل انتقم لهذا الصغير المسكين الذي فكك به هؤلاء الوحوش .

ودار الشيخ على عقبه فجأة ونظر إلى "لوبين" نظرة طويلة حاملة . وكان "لوبين" واقفا امامه في ثوبه الانيق المنسجم على بدنه وسيجارته بين شفثيه في وضع جذاب حتى ليخيل لمن يراه انه من أولئك الذين لا هم لهم إلا غزو قلوب النساء والشئ الوحيد الذي كان يناقض هذه الصورة إنما هو ذلك الوميض المنبعث من عينيه وتلك الابتسامة التهمكية التي تتألق على شفثيه . وتلك النظرة المتحدية الحافلة بالنضال

وكان "فالكروس" يعرف "لوبين" حق المعرفة ويعرف انه الرجل الوحيد الذي يصلح للقيام بهذه المهمة .

ووضع الشيخ يديه على عاتق "لوبين" وقال في ثقة وإيمان :

- نعم .. يجب أن تنتقم لي . يجب أن تنظف المدينة من هذه العصابات الدموية التي لا تخرج عن قتل الأطفال الأبرياء . واعلم أنك إن أخفقت في هذا فلن ينجح أحد سواك . ولكني انصحك بأن تلزم الحذر . إن أعداءك جبابرة أقوياء . والمدافع الرشاشة هي السلاح الوحيد الذي يحاربون به خصومهم . ولقد رايت من قبل حواشي كثيرة من هذا القبيل . لقد حاول قوم أكثر منك عبدا واعز نفراً واشد نفوذا محاربة هذه العصابات فكانت النتيجة أنهم قتلوا . قتلوا . في غمضة عين كانوا فلران حقيرة . فاحذر لنفسك يابني .

فابتسم "لوبين" ولم يجب

ارتد "لوبين" بذهنه إلى شهور خلت . إلى ذلك اليوم الذي قابل فيه "فالكروس" في أحد مطاعم مدينة مدريد .

لم تكن بين الرجلين معرفة سابقة ولكن الظروف العارضة جعلت "لوبين" يقدم نفسه إلى المليونير الأمريكي تحت اسمه الحقيقي . ذلك أن المليونير انس إليه في وحدته وحزنه . وتحدث إليه عن الأسباب التي حملته على التماس السلوى والعزاء في الأسفار والساحات . فتكلم عن طفله الصغير المحبوب وعن الساعات الحلوة التي كان يقضيها معه

في أمريكا ثم تحدث عن الساعة الاليمة التي اختطف فيها الطفل وعن الساعة الأشد إيلاما التي وجد فيها قتيلًا .

وقال الشيخ في صوت حزين :

- لا داعي للدخول في التفاصيل فإن الذكرى اليمة قاسية . ولكن يكفي أن أقول إن رجال البوليس قبضوا على اثنين أو ثلاثة حامت حولهم الشبهات . ولكنك لا تدري الطريقة التي يجري بها التحقيق والمحاكمات في بلادنا . وحسبك أن تعلم أن القهمة لم تثبت على أحد وأن القتلة المتوحشين انطلقوا في الشوارع أحراراً ليفكروا في تدبير جريمة أخرى .

واسترسل الشيخ في صوته المتهدج المفجع قائلاً :

- إن في بلادنا عصابات منظمة لا عمل لها إلا اختطاف الأطفال واقتضاء الفدية عنهم .. كانت هذه العصابات تشتغل بتهريب الكحوليات أيام التحريم فلما صرنا في عهد الإباحة تحول نشاطها إلى الخطف .. ولهذه العصابات زعماء يضعون الخطط ولهؤلاء الزعماء اصدقاء من رجال السياسة يحمونهم من سطوة القانون .. فإن هؤلاء السياسيين هم الذين يعينون قضاة محاكم الجنايات .. وهم الذين يعينون مديري البوليس فمن تمرد منهم على رغبات السياسي الفى نفسه في العام التالي مشرداً في الطريق وقد حل في منصبه رجل آخر يعرف كيف يكون أداة طيعة في أيدي السياسيين المجرمين

ولم يكن هناك شك في أن هؤلاء المتهمين هم المجرمون الحقيقيون الذين قتلوا طفلي .. لقد أكد لي ذلك المفتش 'فرسالك' وأطلعني على سوابقهم . ولكن لم يكن في وسعه أن يفعل شيئاً إزاء ما للقضاة الخريبي الزمة من أساليب ملتوية يستمدونها من القانون نفسه لإنقاذ اعداء القانون .. وتصور مبلغ المي حين رايت رجال العصابات القتلة يخرجون من دار المحكمة أحراراً مبرئين .. أقسم لك اني شعرت إذ ذاك برغبة ملحة في أن أطلق النار عليهم ولو كان معي مسدسي لما احجمت لحظة واحدة !

ولما سمع 'لوين' حديث الرجل . أخذته الشفقة به . واثارت استنكاره وغضبه تلك الجريمة النكراء التي ذهب ضحيتها ذلك الطفل

البريء ووجد فضلا عن ذلك أن الفرصة سانحة لمقابلة الزملاء اعداء القانون في العالم الجديد . وأن الانتقام للطفل البريء يصلح محكا لقوته وبهائه واساليبه بالقياس إلى اساليب رجال العصابات في امريكا . فقدم نفسه إلى المليونير باسمه الحقيقي . وصفته الحقيقية . وتطوع لخدمته .. وكان مما قاله له المليونير :

- انني سمعت عنك اشياء كثيرة .. لقد عجز القانون في بلادنا عن الاقتصاص من هؤلاء المجرمين فالرجل الوحيد الذي يستطيع ان يقتص منهم يجب ان يكون نظيرهم : خارجا على القانون .. وانت هذا الرجل !

إن لدي مالا كثيرا اضعه تحت تصرفك لأعينك على تحقيق مهمتك .. وبهذا المال تستطيع أن تشتري كل ما يمكن أن يشتري بالمال : اللزم .. والضمان .. والاعوان .. ولكن شيئا واحدا هو الذي سيقصر المال دون شرائه وأعني به الأمن والسلامة .. !

نعم .. فلست أهتم عنك الاخطار التي تستهدف لها .. انك تعرض نفسك للسجن .. ولرصاص اعدائك .. ولكن يجب أن تعلم أنني سأنقذك مليون ريال إذا نجحت في الاقتصاص من المجرمين الذين قتلوا طفلي المسكين ..

وهكذا جعل "لوبين" يستعيد إلى ذاكرته تفاصيل هذا الحديث الذي دار بينه وبين "فالكروس" في مدينة مدريد

وخيل إليه الآن وهو واقف عند النافذة إلى جوار "فالكروس" مرسلا بصره إلى مدينة نيويورك أن صوت تلك الشيخ العجوز لا يزال يطن في أذنيه بنبرات الحزينة المتهدجة .

لم تكن هذه أول مرة زار فيها "لوبين" مدينة "نيويورك" إذ سبق له أن اقام فيها أياما طويلة على عهد تحريم الكحوليات .

وقد طرات على المدينة منذ ذلك العهد البعيد تغيرات كثيرة لا حصر لها فزحفت الدور إلى بقع كانت جرداء قاحلة . وقامت في مواضع البيوت الواطئة عمارات شاهقة ترتفع إلى عنان السماء حتى لقد كانت المدينة أن تستحيل شيئا جديدا يضل فيه الزائر .

ولكن "لوبين" على الرغم من هذا استطاع أن يهتدي بسهولة إلى

كريس بليني الذي يقع في الشارع رقم ٤٥ .

ولو أن الذي قتل "أربول" وأهاج عليه عصابات نيويورك شخص آخر غير "كوبين" لتواري واختفى عن العيون خلف جدران مقامة وأبواب موصدة وستائر مسددة .. ولكن "كوبين" لم يكن من هذا الطراز ... إنه رجل لا يهاب الخطر ولا يهرب منه .. إنه يعلم أن العالم السفلي يبحث عنه وأن رجال البوليس ينتشدونه ولكنه مع ذلك أبى أن يتزوي في داره وأن يقبع في ركن مظلم لا تراه فيه الأبصار .

إنه يريد أن ياكل .. وهو يعلم أن كريس بليني "أبرع رجل في شي اللحم على النار" . فهل تربه هذه المخاطر عن الذهاب إلى المطعم والتلذذ باكلة شهية لا يجد مثلها في لندن ؟ .. كلا .. سينذهب .. وسياكل ... ولو ضحى بحياته من أجل طبق من اللحم .. !

وهكذا سار "كوبين" صوب المطعم وقبعته مائلة فوق رأسه في زاوية تتحدى وتتهكم .. وعيناه تشعان بوميض يهزأ ويسخر .. وسيجارته بين شفتيه في وضع يوحي بأنه خلى القلب والبال .

ومق "كوبين" جرس الباب ففتح بعد لحظات وظهر على عتبة ذلك الإيطالي البدين الذي لم يبرع أحد في شي اللحم مثله والذي يعرف كيف يجذب عميلا ليتناول من يده قطعة من اللحم ولو دفع حياته ثمنا لها .

وقال "أرسين كوبين" مخاطبه :

- كيف حالك يا "بليني" .. ؟

ومرت لحظات والرجل لا يزال ناسيا هذا الزائر ثم أشرق ذهنه فجأة فهتف قائلا :

- يا إلهي .. ! أهذا أنت .. ! أين كنت طوال هذه السنين الماضية . ؟ واشتبتكت الديدان في مصافحة حارة مخلصه بينما كانت جلبة الجالسين في داخل المطعم وضحكاتهم تصل إلى أذني "كوبين" ممتزجة برنين الشوك والملاعق واستطرد الإيطالي قائلا :

- لماذا غبت عنا طويلا .. ؟ ولماذا لم تخطرني بقدمك حتى ادعو "الأولاد" إلى الحضور . ؟

فقال "كوبين" وهو يعلق قبعته على الشماعة :

- وهل "الاولاد" غائبون الليلة ؟

- نعم يا مسيو "كوبين" ولو انك اتصلت بي تليفونيا لدعوتهم لكي يرحبوا بالضيف القديم .

فهذه "كوبين" راسه قائلا :

- انني مسرور لغيبتهم .. لو انهم كانوا حاضرين لما رحبوا بي فقط بل بليني" جبينه ثم قال معتبرا :

- انني اسف .. لقد نسيت ما حدث مما ذكرته الصحف .. ولكن اعلم انك ستظل صديقي مدى الحياة ولو ثار ضدي "الاولاد" ونقم علي العالم السفلي - عالم المجرمين

فشد "كوبين" على يده بحرارة وهو يقول :

- شكرا لك .

وقاد "بليني" زائرته الى قاعة الطعام الصغيرة الوحيدة التي يفخر بها هذا المطعم . فاستوى على مقعد خشبي غير مريح ولكنه كان سعيدا بان يلقى نفسه في هذا المكان بعيدا عن الرسميات ويعيدا عن تقاليد الجرسونات المتكلفة .. هنا يستطيع ان يجلس كما يشاء .. وان يمد ساقيه امامه وان ياكل اللحم في وحشية اذا اراد دون ان يكون موضعاً للانتقاد وهذا للنظرات الشريرة .

واقبل "بليني" على زائرته وقال يسأله :

- هل اتيك بقدح من الشراب .. ؟

فاحنى "كوبين" راسه وقال :

- وقطعة من لحمك الشهي .. لا اقصد لحمك انت طبعاً ؟

فضحك "بليني" وقال :

- ولو سالتني قطعة من جسمي لما ضمنت بها عليك

- ولكني لن اسالك لاني لا احب اللحم العجوز .. ؟

ولما فرغ من طعامه بسط ساقيه امامه واشعل سيجارته واخذ

يبخن .

كان "كوبين" سعيدا رخي البال .. ولم يكن نادما على شيء ولم يؤنبه ضميره على تلك الجريمة التي ارتكبها منذ ساعات . فلو ان "اربول" ارتد حيا لما تردد "كوبين" لحظة واحدة في ان يطلق عليه النار . ففي

العالم جرائم يكون ارتكابها هو العدل بذاته .
وقتل "أربول" هو أحد هذه الجرائم العادلة .

ولكن "أربول" لم يكن هو الهدف الحقيقي الذي ينشده "لوبيين" فإنه ليس في الواقع إلا نغبا من الأناب . وما كان "لوبيين" ليقتنع إلا بالراس الكبير .. قد يموت "أربول" وعشرات من أمثاله ولكن الراس يبقى .. ويفرغ .. وينبت أنابا جديدة . فالعلاج الوحيد هو بتر هذا الراس عند ذلك يكون "لوبيين" قد انتقم للعدالة المهيضة الجناح .. ويكون أيضا قد ظفر بالمليون دولار .. !

ولمح "لوبيين" على مقعد قريب منه نسخة من جريدة "تلجرام" تركها صاحبها بعد أن فرغ منها . فتناولها وألقى عليها نظرة سريعة فالتفتي نفسه علما من الأعلام يحتل اسمه الصدر . وأخذ الكاتب يطنب في وصف ما حدث في ذلك اليوم بجلسة محكمة الجنايات وكيف وقع ذلك الاعتداء على "أربول" على الرغم من وجوده في نفر من أصحابه المدججين بالسلاح .. !

وعلى حين فجأة قطب "لوبيين" جبينه واختفت من ملامحه إشارات الدعابة والمرح والتمتع عيانه بوميض نفاذ كأنه حد الحسام حين فرغ من "أربول" ظل يسأل نفسه عن الخطوة التالية التي ينبغي أن يتخذها .. إنه لا يستطيع أن يظل في مكانه مكتوف اليدين إذ لابد له أن يعمل . ولكن ما الميدان الذي سيوجه إليه نشاطه ؟

وقد جاء الجواب من ذلك المقال الذي قرأه في صحيفة "تلجرام" نعم .. من هنا يجب أن يبدأ

وارتدت إلى شفتيه ابتسامته المعهودة .

ونهض "لوبيين" عن مقعده ومشى إلى صاحب المطعم فوضع يديه على منكبيه وقال :

-إني ذاهب .

فتجهم وجه الإيطالي وقال :

- أبهذه السرعة ؟

فأخضى "لوبيين" رأسه وقال :

- ولكنني سأعود .. أن اللحم الذي يخرج من يديك لا يزال شهيا

لنبدأ.

وعبر القاعة وهو يرسل من فمه صغيرا خفيفا . ولما مر بمقصورة التليفون نخل إليها وتناول الدليل فقلبه حتى انتهى إلى الاسم الذي يبحث عنه . ولكنه لم يتحدث إليه وإنما حفظ عنوانه في ذاكرته . وعندما وقفت به السيارة في الشارع العاشر قفز منها إلى الإفريز في خفة وراح يمشي وهو يتصفح أرقام المنازل .

وكان يسير ويده في جيبه وسيجارته بين شفتيه وخطواته مسترخية متهللة كأنه عاقل يتسكع .

ولكنه لم يكن متسكعا وإنما كان ينشد غاية كبرى .. كان ينشد الانتقام للعدالة المحطمة من أحد الذين هدموا قطعة من تماثيلها المقدس.

وظل في طريقه حتى انتهى إلى البيت الذي يبحث عنه . وشمله بنظرة واحدة ورأى في جدرانه بروزا وتواء يهون عليه تسلقه .

ودار كوبيين حول البيت فلمح نافذة مضاعة في الطابق الثاني والستائر مسنلة عليها . فصيح عزمه على أن يجعل من هذه النافذة هدفه المقصود وقد رجح لديه أنها لا بد أن تكون قاعة المكتبة لما عرفه عن النظام الحديث لتنسيق الغرف .

وكانت عند الباب سيارة عليها شارة لا توضع إلا على سيارات كبار موظفي الحكومة . فاستنتج من ذلك أن صاحب الدار - وهو من كبار الموظفين - لابد أن يكون موجودا .

وبخا كوبيين من البيت حين اطمأن إلى انقطاع الأقدام السابلة ووثب في خفة الفهد فتعلق بنتوء في الجدار . وفي بضع حركات سريعة خفيفة كان قد بلغ أسفل النافذة المضاعة .

ولبت هناك هنيهة ليسترد أنفاسه وأقفا على إفريز بارز في الجدار . وكان هذا الإفريز منخفضا عن حافة النافذة وليس بينهما إلا خطوة واحدة فلو أن كوبيين اجتاز هذه الخطوة لصار في داخل الغرفة . ولم يتريد كوبيين ولم يطل به التفكير فاجتاز هذه الخطوة وتخطى حافة النافذة التي كانت مفتوحة والستار مسدل عليها ١

وبهذه الخطوة صار في داخل الغرفة دون أن ينبض في صدره عرق واحد بالنم .

* * *

في هذه الدنيا كثيرون من السذج والبلهاء تستقر في انهماءهم عن القضية صور خاطئة زائفة لأظلال لها من الحقيقة .. فهم يعتقدون أن القاضي قديس مطهر يرتفع فوق الشبهات ويسمو عن مظان الريب .. وأنه رجل يقتل نفسه في خدمة العدالة ونصرتها .. وأنه في مثل هذه الساعة من الليل يكون معتكفا في داره منكبا فوق كتب القانون يدرس قضايا العويصة منصتا إلى صرخات المظلومين حارما نفسه لذلك الحياة ومتعاتها .

نعم ... هذا هو ما يتصوره السذج والبلهاء عن القضية ولكن إنصافا للواقع وتقريراً للحقيقة يجب أن نقول أن "أرسين لوبين" لم يكن من هؤلاء .

قد يكون بين القضية قديسون مطهرون .. وقد يكون من بينهم من يفني نفسه في سبيل الحق والعدل ... ولكن يجب ألا ننسى أن من بينهم أيضا القاضي "واليس ناتير" وأمثاله !

ولو كان "لوبين" يؤمن بأن القضية على تلك الصورة التي نكرناها لزعم هذا الاعتقاد في نفسه أن يرى بينهم رجلا من طراز "ناتير" كان "لوبين" واقفا خلف الستار ينظر إلى داخل القاعة من خلال فرجتين .. وهناك .. على قيد خطوتين اثنتين منه ... كان القاضي "واليس ناتير" جالسا إلى مكتبه وإمامه رزمة ضخمة من أوراق النقد الكبيرة وهو يجري أصابعه عليها ليعبها وقسمات وجهه ناطقة بأجلى آيات الجشع والشر .

كان القاضي رجلا بدينا قصير القامة كأنه كتلة من اللحم غير مسواة ركب فوقها رأس أصلع تتوسط وجهه عيان ضيقتان فيهما خبث ونزالة .

ويظهر أن نتيجة العد قد أرضته إذ ابتسم وأخذ يجمع الأوراق ويرصها ويضمها بعضها إلى بعض في رفق وإهتمام كأنه أم تحنو على صغارها .. !

وتناول ورقة صغيرة مطوية كانت على المكتب تحت أحد الأقال
فنشرها وألقى عليها نظرة عاجلة .. ثم ابتسم للمرة الثانية وكور
الورقة وقذف بها إلى سلة المهملات الموضوعة إلى جانبه .

وأخذ رزمة الأوراق المالية وأخذ يحرك أطرافها بأصابعه منصتا إلى
خشخشتها كأنما تستحيل في أنفيه أنغاماً عذبة ناعمة .

وكان "لوبيين" لا يزال خلف الستار يرقب هذا المشهد وقد انتشى
واسكره ما يرى .. هذه هي العظمة الحقة .. العظمة التي تتمثل في
تلك البساطة القامة .. ببساطة لا زيف فيها ولا رياء .

في هذه الدنيا قوم من المعتوهين يزعمون أن المال شر وأنه لا يجلب
لصاحبه السعادة .. فإين هم ؟ أين هم الآن . ليروا القاضي "ناتير" وليس
ناتير" وهو يبدو أسعد الناس .. وانظروا مستقرة على رزمة الأوراق
المالية .. !

المال لا يجلب السعادة ! هراء ! سخف ! هذيان !
لو أن هذا كان صحيحاً لما رأى "لوبيين" القاضي "ناتير" كما يراه الآن
باسماً راضياً تنطق تعابير سحنه بأنه أسعد الناس وأهنؤهم بالأ .
وشق على "لوبيين" أن يفسد بتدخله هذا المشهد البديع .. شق عليه أن
يهبط بالقاضي من حالق السعادة إلى هاوية الألم .. ! ولكن ما العمل
ولا بد له من أن يتدخل .

وأزاح "لوبيين" الستار وقال :

- طاب مساؤك ياسيدي القاضي !

ومن الإنصاف إن نقول أن "لوبيين" بذل أقصى الجهد حتى يخفف من
وقع الصدمة على القاضي .. فنطق بهذه الجملة في صوت رقيق
عطوف فياض بالحنو والمودة . ولكنه تنهد قنوطاً وبأساً حين رأى أن
مقاصده الشريفة النبيلة لم تتحقق .

لم يكن القاضي "ناتير" يسمع هذه التحية الكريمة حتى أتى في
لحظة واحدة ثلاث حركات مختلفة : فأولا أفلنت يده رزمة الأوراق
المالية . وثانياً دار بمقعده اللطاف .. وثالثاً امتدت يده إلى برج جانبي
في مكتبه .

وقد سقطت الرزمة .. ودار المقعد . أما الحركة الثالثة فهي الوحيدة

التي لم تتم .. ا

لقد رأى امامه فوهة مسدس تهدده بالموت ... ورأى عيين هازلتين
عابثتين تنظران إليه ..

وكانت هذه النظرات اشد اثرا في نفسه من المسدس .
ومرت بضع ثوان والقاضي المحترم جامد في مكانه وصدره يعلو
وينخفض وانفاسه مبهورة متلاحقة . وهو يحملق في الرجل الواقف
امامه دون ان يسعه ذهنه بكلمة واحدة .

واخيرا - وفي جهد ملموس جعل جبينه يتصبب عرقا - حاول ان
ينفض عن نفسه هذا الخوف المفاجئ الذي استولى عليه .

وهم بان ينهض عن مقعده .. وهذه الحركة لم تتجاوز دائرة التفكير
والنية فقد رأى "كوبين" يهز المسدس في يده هزة لم يخف مغزاها على
القاضي الذكي فجمد في مكانه مستكينا .. وكانما خشى كوبين ان
يتبارى إلى نهن القاضي انه يهدده ويتوعده فقال مفسرا :

- لا تزعج نفسك يا صديقي العزيز .. اني اعلم ان اداب السلوك
تقتضي على رب الدار بان ينهض واقفا وهو يستقبل زائريه .. ولكن لا
داعي لان تتمسك بهذه التقاليد فاني رجل ديمقراطي شديد التساهل .
فابق مكانك ولا تتعب قديمك !

ونحى القاضي بصره عن المسدس ونظر إلى وجه "كوبين" .
وكان صوته ينسجم مع هذا الوجه .. كلاهما ينم عن الاستهزاء
والاستخفاف ... كلاهما فيه جراءة وقلة اكتراث .. كلاهما ملير . مخيف
يلقى الرعب في القلوب .

وللمرة الثانية غاض اللون من وجه القاضي بعد ان كان قد بدا
يستجمع شجاعته .

ولكن الموقف كان يقتضي منه ان يتكلم وان يقول ولو جملة واحدة .
وتكلم "ناثير" ونطق بهذه الجملة فقال :

- ما معنى هذه المهزلة السخيفة ؟

ولكنه حين سمع صوت نفسه اجفل ودهش ..

كان صوته رفيعا حادا متحسرجا .. كان أشبه بنعيق غراب .. او
رنين إناء مشرّوخ .. او ذبحة حيوان مخنوق .

ومهما يكن من أمر فقد أنكر أنه صوته .
وتمتم "لويين" قائلا :

- اجلس أنبك بما تسأل عنه .. أما إذا أبيت أن تجلس فهذا شأنك
بالتأكيد .. ولكن يجب أن تعلم أنني لقيت في طريقي حانوتا يبيع
توابيت الموتى بأسعار رخيصة أعجبني منها تابوت يتسع لقلبك
النحيل الأهيف .. ! ولا تنس أيضا أن هذا يوم مبارك لمن يريد أن
يموت !

واضطر القاضي "ناتير" إلى الجلوس لأنه يكره أن يموت سواء كان
اليوم مباركا أو غير مبارك .
وابتسم "لويين" وقال :

- شكراً لك :

ثم مشى إلى الباب فاوصده بالمفتاح ورجع إلى المكتب فاستوى
جالسا على حافته في رشاقة وجعل يطوح ساقه في استرخاء كأنه
شاب يلهو ويعبث وقد تسمرت نظراته النفاذة على وجه القاضي
المحترم .

وأما "لويين" بغوطة مسدسه إلى رزمة الأوراق المالية الموضوعة على
المكتب وقال :

- كاذبي به مبلغ جسيم .. ! إنه يخبرني بأن اتناسى مبالغتي
الشريفة !

فقال القاضي على الفور :

- إذن فانت تبغي السرقة ؟

واستشف "لويين" في صوته نبرة تدل على الارتياح .

وهز رأسه نفيا وحملق في سائله بعينين بريختين دهشتين وقال :

- إنك تخطئ فهمي يا عزيزي القاضي .. لقد أردت فقط أن أريك أنني
اناضل في نفسي هذا الإغراء .. إنني إنما حضرت أبغي التعرف إليك
وتبادل حديث ودي معك .. أريد أن أعرف أين ولدت .. ولماذا ؟ وما
رايك في نزع السلاح ؟ وهل وجهك دائما مميم بهذا الشكل أم أن
سيارة داست فوكة فشوهت معاملة .. ؟ كلا يا صديقي .. إنني ما أتيت
لا سرق .. ! إنني رجل شريف لا أمد يداً إلى مال سوى !

واستقر بصره للمرة الثانية على رزمة الأوراق النقدية وبان التردد
في عينيه كأنما يغالب في نفسه قوة قاهرة تغريه بالاستيلاء عليها .
ورطب القاضي شفتيه بلسانه ثم قال في صوته المذبوح :

- ما هذا الهذيان ؟

- زيارة ودية ليس إلا ؟

وعاد "لويين" ينظر إلى الأوراق المالية .. ولاح عليه أن فكرة السرقة
بدأت ترسخ في ذهنه فتنهَّد وقال :

- يظهر أنني ساضطر إلى الاستيلاء على هذه الأوراق .. إن رؤيتي
لها تشغل ذهني وتصرفني عما أنا فيه .. إنها تغازلني !

وقست نظرات القاضي "ناتير" وطاقات بذهنه خواطر شتى ولكن
مسدس "أرسين لويين" المصوب إليه الرزمة مكانه إذ كان يعلم أن
المسدسات صنعت لتقتل لا لتكون العوبة يلهو بها الناس .

ولما رأى "لويين" يتناول رزمة الأوراق ويدسها في جيبه انطلقت عقدة
لسانه فصاح قائلا :

- تبأ لك ! إنك لن تفلت من العقاب !

فقال "لويين" في لهجة مرحة :

- إنني أعلم ذلك .. وإنني أعرف بأنه لم يكن من سداد الرأي أن أفعل
هذا معك أنت بالذات وفي مقبورك أن تؤلب ضدي قوات البوليس
بأسرها .. ومما يؤسف له حقا أنك لم تشعر نحوي بأي شعور ودي
وإلا لامضينا سهرة شائقة ممتعة وصرنا من الإصدقاء . فلو فرض
وقبض على بعد ذلك وحوكمت أمامك لكان رجائي قويا في أن تبرئني
ساحتي كما أبرأت من قبل ساحة صديقك العزيز "جاك أربول" .. أعني
المرحوم "جاك أربول" .

وغاض اللون من وجه القاضي "ناتير" وأبرقت عيناه ببريق الشر
وانحدرت قطرات العرق على خديه .

وقال "لويين" مسترسلا :

- ولكن لا تغضب .. خبرني كم المبلغ الذي اقترضته منك حتى أعطيك
عنه إيصالا ؟

فاجابه القاضي :

- عشرون الف دولار .

فهو "كوبين" راسه قائلا :

- ثمن لا بأس به لشراء الذمم والضمانات .

واتسعت حقيقتا القاضي رعبا وفزعاً ولكنه لا بالصمت فلم يقل شيئاً .

وابتسم "كوبين" وقال في صوت رقيق :

- اعذرني إذ انهلنتني المفاجأة عن أن أقدم إليك نفسي . .. إنني ادعى "كوبين" .. "أرسين كوبين" .. ولاتشك أنك سمعت عني .

ولم يكن "كوبين" في حاجة إلى جواب عن سؤاله فإن الذعر الذي ارتسم في عيني القاضي كان أصدق جواب عن هذا السؤال .

وازبد المسكين ريقه وقد جف حلقه وتكلم في صوت متهدج خرج من بين شفتين مرتعدتين قائلا :

- إن فانت الرجل الذي أرسل إلى "أربول" ذلك الإنذار ؟

فاحضى "كوبين" راسه وقال :

- وأنا أيضاً الرجل الذي قتل "أربول" : أنت أفرجت عنه وأنا قتلته .
ونملل القاضي في مقعده في خوف وانزعاج وقد شعر بأن اعصابه بدأت تخونه وأنه لم يعد يقوى على المقاومة .

وتكلم في صوت متهدج مبجوح قائلا :

- ماذا تريد ؟

فجعل "كوبين" يهز ساقيه كأنها رقائق الساعة وقال :

- لقد حضرت لأحدث إليك . كنت أظن أنك تعرف أشياء كثيرة .. لقد سمعت عنك أنك صديق حميم لـ "جاك أربول" ونكرت الصحف اليوم أنك أنت الرجل الذي صرح لـ "أربول" بحمل السلاح الذي مكنه من قتل "إنسكي" وأنت الرجل الذي أفرجت عنه حين قبض عليه البوليس رهن التحقيق . وأنت الذي أرجأت قضيته مرة بعد مرة وشهراً بعد شهر .
وأخيراً أنت الرجل الذي نطقت اليوم ببراءته . وهناك مسألة أخرى قيمة وهي أنك أنت الذي أبرأت "أربول" منذ ثلاث سنوات حين حوكم أمامك لقتله طفلاً يدعى "ويلي فالكروس" .

وسكت "كوبين" هنيئاً ثم استرسل قائلا :

- فهذا هو تاريخ حياتك . ولهذا جئت أسعى إلى مقابلتك لأنني
أرجو أن أجد فيك صديقاً ينفعني وقت الضيق كما نفعت من قبل 'جاء'
وأعوانه .

الفصل الثاني

اعتصم 'واليس ناتير' بالصمت ولم ينبس بكلمة واحدة .. وكان غارقا في مقعده كأنه كتلة من اللحم لا حياة فيها ولا شعور . ولكن الوميض الذي يشع من عينيه كان الدليل الوحيد على أنه حي يفهم ويدرك وكان وميضاً حافلاً بأجلى إمارات الحقد والغضب . ولكن 'كوبين' لم يكن حينئذ عهد بمثل هذه النظرات فاسترسل في حديثه غير عابئ بها :

- قبل أن أدخل هذه الغرفة رايتك تقرا ورقة صغيرة يلوح لي أن لها علاقة بالعشرين ألف دولار التي اقترضتها منك .

فقال القاضي في خشونة :

- لست أدري عم تتحدث ؟

- احقا ؟

وكان صوت 'كوبين' ظريفا . ولكن الوميض المنبعث من عينيه كان لا يزال أمضى من نصل السيف .

- إنني فانت لا تدري عم التحدث .. دعني أنبه ذاكرتك يا صديقي لقد كورت الرقعة وقنفت بها إلى سلة المهملات وهي لا تزال هناك وأحب أن أراها .

فارتعد 'ناتير' وأزرد ريقه وقال :

- ولماذا لا تأخذها مادمت تعرف مكانها ؟

- لأنني لا أريد أن أهيب لك فرصة تنقض فيها علي وأنا منحرف فوق

السلة . هيا ابحث عنها واتني بها !

وكان صوت 'كوبين' حاداً قاسياً كأنه فرقعة سوط على ظهر حيوان عنيد عاص . وارتعد القاضي 'ناتير' ولكنه لبث مكانه جامداً لا يتحرك . وساد الغرفة جو خائق . وتبدت الإبتسامة التي كانت مرتسمة على شفطي 'كوبين' واشتدت نظراته إذ اعتاد طول حياته أن يأمر فيطاع فكانت هذه أول مرة يعصى له فيها أمر يصدره !

وتفرس 'كوبين' في وجه القاضي وعرف على الفور الخاطر الجديد الذي وثب إلى ذهنه .. كان 'ناتير' يفكر في أن يستجمع شجاعته

وجراته فينقض على "لوبين" في حركة فجائية يالسة ويختطف
المسلس من يده .

وأراد "لوبين" أن يفهم القاضي أنه ليس غافلاً عن هذه الخواطر
الجنونية التي تدور في ذهنه فقال في صوته الهادئ :

- المعروف عني أنني لا أجيد إصابة الهدف ولكن المسافة التي بيني
وبينك لا تزيد عن قدمين فلا أحسبني سأخطئ المرمى .

فقال القاضي بصوته المختنق :

- إنك لن تجرؤ على إطلاق النار .

ونطق القاضي بهذه الجملة لكي يثبت في نفسه الشجاعة . فكان

جواب "لوبين" أن قال في برود :

- لا أجرؤ ! إنني لا أعرف هذه الكلمة ! وينبغي أن نتذكر

يا صيقي العزيز أن الناس في هذه البلاد لا يحملون المسدسات لمجرد
الزينة .

وكان "لوبين" وهو ينطق بهذه الكلمات يفكر في السبب الذي يجعل
القاضي "ناتير" يجازف بحياته هذه المجازفة اليائسة وهو يعلم أنه قد

يستهدف للموت .. أيفعل ذلك من أجل عشرين ألف دولار ؟

كلا .. فمهما بلغت به الحماسة فإنه لن يهدر دمه من أجل هذا المبلغ
التافه .

إن فلان أن يكون هناك دافع آخر يحمله على هذه المجازفة .

ولم يكن "لوبين" في حاجة إلى شيء من الذكاء لكي يدرك أن الرقعة

الملقاة في سلة المهملات هي هذا الدافع !

لا بد أن في الكلمات المخطوطة عليها سرأ يهم القاضي أن يبقى دقيفاً

مكتوماً .. سرا يجعله يواجه الموت ويتزحزح في مقعده خلسة وهو

يفكر في الوثوب على "أرسين لوبين" .

لم يكن "لوبين" غافلاً عن تلك الحركات المختلصة .. فهاهو ذا "ناتير"

يتحرك في مقعده تدريجياً ويستجمع قوته لينبث الوثبة القاتلة .

نعم .. قاتلة لأن "لوبين" ما كان ليتربد في أن يطلق عليه النار . لقد

أنذره وحذره فإذا صم أذنيه عن النصيحة فهو الجاني على نفسه ..

وتكون الأقدار هي التي تريد له الموت لتخلص العالم من قاض يحمي

المجرمين الدمويين . حقيقة ، إن صوت الطلق الناري كفيل بأن ينبه الخدم فيخفوا سراحا إلى نجدة سيدهم . ولكن قبل أن يصلوا إلى باب القاعة المغلقة يكون "كوبين" قد التقط الرقعة من سلة المهملات وتخطى النافذة إلى نتوء الجدار وهبط منه إلى الطريق قبل أن يفكر أحد في اغتصاب باب الغرفة .

وجعل "كوبين" يتفرس في القاضي ويمده على زناد المسدس منتظرا الوثبة القاتلة .

ولكن الوثبة لم تتم والرصاص لم تنطلق !
وذلك أن جرس التليفون بق في تلك اللحظة فافسد الخطة التي كان ينتويها القاضي إذ ألقت مسرعا إلى جهاز التليفون وانتقل بخواتمه إلى تلك الناحية وقد ارتسمت في عينيه دلائل نعر جديد !
وكان على الطاولة جهازان للتليفون يتصلان بالخارج عن طريق واحد ، إذ المفروض أن يستعمل السكرتير أحدهما بينما يستعمل القاضي الثاني في نفس اللحظة ليكون على بينة مما يقال للسكرتير .
وتناول "كوبين" إحدى السماعتين وهو يقول :
- أجب على هذا النداء أيها الأخ .

وكان صوته رقيقا متوسلا . ولكن الحركة التي بدت من مسدسه عكست هذه الرقة لأنها كانت نذيرا بالموت إذا أبى القاضي أن يتكلم .
وتناول القاضي "تاتير" السماعة الأخرى ووضعها على أذنه وقال في صوته المذبوح :

- أنا القاضي "تاتير" .

وسمع "كوبين" صوتا نسايبا يقول :

- إنني فاي .

وكان الصوت عنبا موسيقيا يفتن السامع .. وكان "كوبين" مغتبطا وهو يصفي إليه إذ كان من هذه الأصوات التي لاتنسى مدى الحياة ؟ .. واسترسلت فاي قائلة :

- إن الرفيق الكبير يطلب إليك أن تبقى الليلة في دارك .. إنه قد يحتاج إليك .

وأبرقت عينا "تاتير" ثم نظر إلى "كوبين" في خوف جديد .

وحرك "لوبيين" مسدسه بتلك الطريقة التي لا يخفي مغزاها على القاضي الفطن.

وقال القاضي مجيبا :

- حسنا .. لن اخرج الليلة .

واختتمت فاي حديثها بقولها :

- شكراً .

ثم قطعت المواصله التليفونية .

ولم يفهم "لوبيين" طبعاً الغاية المقصودة من هذا الحديث . وما هو

السبب الذي يجعل الرفيق الكبير يطلب إلى القاضي أن يبقى في

البيت بل لم يكن يعرف من هو الرفيق الكبير ..

وكان القاضي "ناتير" يعرف جواب هذه الاسئلة بون شك . ولكن

"لوبيين" لم يكن يطمع أن يظهر منه بالجواب المنشود .

وقال "لوبيين" باسم :

- هذا شيء لطيف .. !

فقطب القاضي جبينه وقال :

- إنها إحدى عميلاتي .

- لطيف جداً .. إنني لم أكن أعرف أن للقضاة عملاء وعميلات .

المفروض في القاضي أن يكون نزيها عادلاً .. وليست أشك في أنها على

غاية من الجمال مادام لها هذا الصوت الموسيقي .. خبرني يا صديقي

العزيز أهناك سر تكتمه عني .. ؟

فقال القاضي في صوت جاف :

- إلى متى تدوم هذه المهزلة .. ؟

- سندوم إلى أن يدركني الملل .. ولعلك تلاحظ أنني لم أتناعب بعد ..

وإذا سألتني رأيي بصفتي ناقداً فنيا قلت لك إن الفصل الثاني خير

من الفصل الأول .. وأرجو أن يكون الفصل الثالث خيراً من الاثنين ..

فهل لك في أن تزيدني إيضاحاً عن الرفيق الكبير .. إنني رجل شديد

الفضول .

فومضت عينا "ناتير" بنظرات ينبعث منها الشرر وقال :

- إنني أكون مجنوناً إذا تكلمت !..

- بل تكون مجنوناً لو أبيت أن تتكلم .

- اذهب إلى الجحيم .

فقال "كوبين" في هدوء :

- ولكنك ستسبقني .

ونفض "كوبين" واقفاً عن حافة المكتب ودنا من القاضي وهو يقول :

- إنك عنيد يا صديقي .. فهل تجهل أن "كوبين" قد اعتاد أن يطاع ؟

احسبتي حضرت إليك لاستمتع بمراى وجهك الجميل .. إنك تعرف

من أنا وتعرف أن لي في السوق تاريخاً قديماً . فهيا تكلم وإلا ..

- وإلا ماذا .. ؟

فحرك "كوبين" مسدسه و الصق فوهته في صدر القاضي وقال :

- وإلا أرسلتك إلى "أربول" لتحمل إليه تحياتي !

وضاقت عينا القاضي وبان الذعر في عينيه فقال "كوبين" يحذره :

- وإياك أن تكذب .. وإلا فإن حانوت التوابيت لا يزال مفتوحاً حتى

هذه الساعة .. ؟

ورطب "تاتير" شفثيه بلسانه إذ كان يعلم الخطر المحدق به .. لم يكن

في لهجة "كوبين" أو في نظراته أو في حركاته ما يدل على أنه يهزل فيما

يقول .. وكان "تاتير" يعرف حق المعرفة - وحادث "أربول" لا يزال

حاضراً في ذهنه - إنه أمام معتوه لن يتردد في أن يطلق عليه النار .

وفتح القاضي فكيه ليتكلم .. وقبل أن تنطلق من فمه كلمة واحدة

ارتفع خارج القاعة وقع اقدام تقترب .

وارهف "كوبين" أذنيه للسمع .. واستنتج من طريقة المشية المنتظمة

أن صاحبها لابد أن يكون أحد الخدم .

ورفع "تاتير" رأسه وقد انتعش رجاؤه وقوي امله في النجاة ولكن

فوهة المسدس التي تضغط صدره كانت لا تزال في وضعها الأول .

وهمس "كوبين" يقول في صوت خافت :

- إن الحماقة قتالة .. فاحذر لنفسك .

وقرع الباب على اثر ذلك قرعتين خفيفتين !

وتنظر "تاتير" إلى "كوبين" مستفسراً عما ينبغي أن يفعل إذ كان

يخشى أن يقدم على الحركة أو ينطق بكلمة تجلب له الهلاك .

وقال كوبيّن همسا :

- سله ماذا يريد ؟

فصاح القاضي في صوت مرتفع قائلا :

- ماذا تريد ؟

فجاءه جواب الخادم يقول :

- المفتش "فرساك" يطلب مقابلتك لأمر هام .

ونظر "ناتير" إلى كوبيّن وقد اتسعت حدقاته . اما كوبيّن فابتسم .

لم يكن كوبيّن خائفا . ولم يرفى قدوم المفتش ما يحمله على تعديل خطته .. بل لقد رأى في ذلك على العكس . فرصة تمهد له سبيلا إلى النضال .

وقال كوبيّن في صوت خافت :

- دعه يصعد .

فاصرع "ناتير" يقول للخادم :

- دعه يصعد .

وقد نطق بهذه الجملة في سرعة عجيبة كأنما يخشى أن يرجع كوبيّن عن رايه . وكانت هذه هي أول مرة نفذ فيها امر كوبيّن بطيب خاطر .

واخذ وقع قدمي الخادم يخف تدريجيا وهو يبتعد عن الغرفة . ولبث القاضي صامتا وهو يترقب قدوم المفتش "فرساك" إذ كان يعتقد أن وجوده كفيل بأن ينقذه من الخطر الذي يتهدهده . ولكن الشيء الوحيد الذي انهشه هو أن كوبيّن لم يعارض في صعود المفتش !

وقال كوبيّن معبرا عن الخواطر التي جالت في رأس القاضي :

- لا تهش يا عزيزي . ولا تحسبن أنني انوي الفرار إذ الواقع أنني كنت شديد التلهف إلى مقابلة المفتش "فرساك" .

وحملق "ناتير" بهشا في هذا المعتوه الذي يعلم أن مفتش البوليس سيدخل الغرفة بعد لحظات فلا يفكر في الهرب بل يظل في مكانه هابدا باسماء كأنه ينتظر مجيء صديق عزيز . . . !

ولاول مرة ابتسم القاضي وقال :

- وسيتحقق رجاؤك !

واشعل كوين سيجارته ومضى يدخن في تلذذ وينفث من بين شفتيه حلقات كثيفة من الدخان يتابعها بنظراته وهي تتلوى في الهواء وتتبدد صاعدة إلى السقف .

لم يكن في هيئته ما ينم عن الخوف .. بل كان هادئا بارد الأعصاب . والومضات التي تنبعث من عينيه لا تزال على عهد ما نفاذة حادة .

واقترب كوين من سلة المهملات وضربها بقدمه فانقلبت وتناثرت منها الأوراق فانحنى في سرعة البرق والنقط من بينها الرقعة المكدورة قبل أن يلفظ القاضي "تاتير" إلى ما حدث .. ! ثم فتح درج المكتب الذي امتد إليه يد القاضي عندما فاجاه كوين فوجد فيه مسدسا تناوله ودسه في جيبيه .

ثم مشى إلى ركن الغرفة فسحب مقعدا كان هناك وأداره بحيث صار مسنده الخلفي إلى الباب الذي سيدخل منه المفتش "فرسك" . وجلس على هذا المقعد ليحجبه المسند عن نظر المفتش عند دخوله .

ونفض كوين رمال سيجارته على السجادة النفيسة وهو يقول :

- عندما يحضر "فرسك" افتح له الباب وأدخله ثم عد إلى مقعدك .

أفاهم ما أقول ؟

ولكن "تاتير" لم يفهم شيئا .. إذ كان لا يشغل ذهنه إلا التفكير فيما سيقع في الدقائق القليلة الآتية .. إن قنوم المفتش "فرسك" أشبه شيء باستجابة دعاء حار لفته الأقدار في التو واللحظة . فبظهور المفتش على المسرح يستطيع "تاتير" أن يسترد الرقعة السرية .. بل يستطيع أن يقبض على هذا الشيطان .

وقطع عليه كوين حبل تصوراته بقوله :

- ساضع مسدسي في جيبي .. ولكن أعلم أنني سريع الحركة وأن في وسعي أن أخرجه في غمضة عين .. فإذا حاولت أن تشي بي فسيموت أحدا . وإن يكون الميت أنا على أي الأحوال .

ونطائر الشرر من عيني "تاتير" وقال في لهجة بطيخة تهديدية :

- في يوم ما . يوم قريب .. سنلتقي .

فقال كوين باسم :

- طبعا سنلتقي .. في سجن "سنج سنج" .. ساكون أنا زالرا

وستكون أنت ضيفا مقيما .

وانتهى إلى سمعهما وقع خطوات الخادم وهو يندو من القاعة
مقترنا بوقع ثقيل منتظم .

ونقر الخادم على الباب وقال :

- المفتش "فرسك" ياسيدي .

وأشار "كوبين" إلى القاضي بالنهوض فعبّر القاعة ومشى إلى الباب
ولكنه كان في كل خطوة يخطوها يشعر تمام الشعور بأن المسدس
المخبا مصوب إلى ظهره وأن أية خيانة ياتيها كفيلة بأن تضع حدا
لحياته .

وآدار القاضي المفتاح في ثقب الباب ثم فتحه فظهر المفتش "فرسك"
على عتبة القاعة بقامته الطويلة ومنكبیه العريضين .

* * *

واستهل المفتش "فرسك" حديثه بأن قال في صوت جاف :

- ماالداعي إلى إيصالك الباب بالمفتاح .. ؟ هل أنت خائف ؟

وأغلق القاضي الباب دون أن يجيب على هذا السؤال فتبرع "كوبين"
بالإجابة - - - - - "إني أنا الذي أغلقته . فهل تتكرم بإغلاقه ثانية يا حضرة
القاضي ولم يكذ "فرسك" يسمع أول كلمة من هذا القول حتى دار على
عقبه دهشا إذ لم يكن قد رأى "كوبين" عند دخوله .

وتفرس المفتش في وجه ذلك الشاب الجالس على المقعد الكبير
الوثير ثم أرسل بصره إلى القاضي متسائلا وأزاح قبعته إلى الورا
وحك بإصبعه الجزء الواقع خلف أذنه وقال :

- من هذا ؟

فهز القاضي "ناتير" كتفيه في استخفاف قائلا :

- مجنون .. !

وتغاضى "كوبين" عن هذه الإهانة التي وجهت إليه واستمر يتأمل
الزائر .

ولم تكن هذه الصورة غريبة عنه بل سبق له أن رأى نظيرها في دور
السينما .. "فرسك" خير مثال للبوليس السري الأمريكي .

ولكن الشيء الذي راقه فيه مايببدو في عينيه من دلائل الأمانة

والنزاهة .. فهذه النظرات الصابقة المخلصة لا يمكن ان تصدر عن رجل
خرب الذمة .

وفي هذه البلاد قل أن تجد شرطيا لم يمد يده إلى مال ليس له حق
فيه .

وابتسم كوين في وجه الرجل ولكنه قابل هذه الابتسامة بان قطب
جبينه وبان عليه الغضب .

وتمتم كوين قائلا :

- ألم تعرفني يا حضرة المفتش .. ؟ هذا شيء يؤسف له .. لقد كنت
اعتقد اني اشهر من ذلك . ولكن يظهر اني مخبوع في نفسي .

واشتتت نظرات المفتش وتقلصت جبهته ثم هز راسه وقال :

- يخليل إلي اني أعرف هذا الوجه .. ولكن لست انكر اين رايته فقال
كوين في لهجة تدل على الاعتذار :

- لابد أن الصورة لم تكن متقنة .. إذ كيف تنسى وجهي وقد كنت
منذ بضع ساعات توزع نسخا من صورتي على الصحفيين ؟

فاشرق ذهن "فرسك" فجأة كوميضة البرق الخاطفة !

وارسلت عيناه لهيبا كالجمر وتصلب فكاه وتقدم إلى ناحية كوين
ثلاث خطوات وهو يقول :

- "ارسين كوين" !

- بعينه .. بلحمه ودمه .. عندما علمت بزيارتك أثرت أن انتظر حتى
الفاك .

وكانت المفاجأة غير متوقعة فلبث "فرسك" منهولا هنيهة وهو
يتسائل عما يدعو كوين إلى أن يقدم نفسه إليه فريسة سهلة .

وقال المفتش في صوت خشن :

- اني أريدك أيها الصديق .

وامتدت يده بسرعة إلى جيبه الخلفي ليخرج مسدسه !

ولكن يده جمدت في الهواء على قيد بوصة واحدة من جيبه .. وذلك

أنه رأى امامه مسدسا مصويا إليه !

وقال كوين معتبرا :

- اني أسف .

وكان أسفا حقا !

واسترسل قائلا :

- إنني أكره أن يقبض علي أحد .. ولعلك قد أدركت ذلك من الإطلاع على قائمة سوابقي .. أن القبض علي حلم لا يمكن أن يتحقق .
ثم ضحك "لوبيين" واسترسل قائلا :

- انتظن يا صاح أني بقبت هنا لكي أقدم نفسي هدية لك ؟
وجعل "فرسك" ينظر إلى المسدس نظرات يتطاير منها الشرر وهو صامت لا يتكلم .

وسرى القلق إلى صدر "لوبيين" إذ كان يخشى أن يقدم "فرسك" على تلك الجماعة الكبرى فينتفض عليه فيضطر إلى إطلاق النار بغاغا عن نفسه .

ولم يكن بعيدا أن يفعل "فرسك" هذا وله هذه النقن المديبة البارزة التي تدل على قوة الإرادة وعلى أن صاحبها ليس من الطراز الذي يخضع لأمر يصدر إليه .

وكان "لوبيين" يمقت بطبيعة الحال أن يطلق النار على رجل كـ"فرسك" يعد فخرا لرجال البوليس في تلك البلاد .

وكرر "فرسك" بأسنانه غيظا ثم هز كتفيه في غير اكتراث قائلا :
- ولكن مامعنى هذا ؟

فأجابه "لوبيين" بصوته الهادئ :

- سهرة عائلية .. فاجلس واشترك معنا .. ألا تعرف بعض الحكايات المسلية !

وسحب "فرسك" مقعدا وجلس عليه مواجه "أرسين لوبيين" .

لقد أخفق في القبض عليه .. فأي ضير في أن يصغى إلى ما يقال ؟
وقال متسائلا :

- ماذا تفعل هنا ؟

وكانت نبرات صوته تدل .. ولأول مرة - على الاحترام والتقدير
وأوما "لوبيين" بمسدسه إلى القاضي يأمره بالجلوس ثم التفت إلى "فرسك" وقال :

- هل لي في أن أوجه إليك نفس السؤال ؟

ونظر "فرسك" إلى القاضي مفكرا .

واستشف "كوبين" في هذه النظرة أجلى مظاهر الازدراء !

ثم تحول بغثة إلى "كوبين" وقال في خشونة :

- لا تسلمني عن شيء .

ومضى "كوبين" ينظر إلى القاضي وإلى المفتش ثم قال :

- بودي أن أجمع بينكما في صورة واحدة .. القاضي حامي العدالة

.. والشرطي منفذ العدالة .. ألا تعتقد يا "فرسك" أنها تكون صورة

بيدعة لبيت شعري .. ماذا نسميها ؟ نعم .. فلنسميها : خرافة العدالة

فتجههم وجه المفتش ، وتلملم القاضي في مقعده ، وساد الغرفة

سكون قصير قطعه المفتش وهو يقول بخشونته المعهودة :

- أتعرف بعض حكايات خرافية غير هذه ؟

فابتسم "كوبين" وقال :

- حكايات كثيرة .. وساقص عليك أحدثها عهدا .. يحكى أنه كان

هناك في سالف العصر والأوان مدينة عظيمة تعد من أغنى المدن في

العالم .. وكان للمدينة أبراج عالية ترتفع إلى عنان السماء وطرقات

مرصوفة بالدر والياقوت .

وكان أهل المدينة سعداء هانئي البال متحابين مخلصين .. إلى أن

جاء يوم قذف إليهم البحر أخطبوطا هائل الحجم له أنخاب طويلة إذا

بسطها بلغت أعلى الأبراج . وخاف الناس بطش الأخطبوط فاخذوا

يعملون على إرضائه حتى سمن وكبر على طعام من الدم والذهب

وشرف الرجال !

وسكت "كوبين" وارتفع صوت "فرسك" يقول في مرارة :

- هذه ليست قصة خرافية .. إنها أصدق من أن تكون مضحكة .

- ومن أنباك باني أردت منها أن تكون قصة مضحكة .. "فرسك" إنك

تعلم السبب الذي دفعني إلى القدوم إلى بلادكم .. بعد ظهر اليوم قمت

بعمل مجيد بقتلي "أربول" .. كان المفروض طبعا أن يقوم القاضي

"ناتير" بهذا الواجب . ولكنه أهمل فتقدمت أنا إلى الميدان .. لقد كان

"إنسكي" صديقا لك .. اليس كذلك ؟

فتقلصت عضلات وجه المفتش وقال :

- إنك تعرف الشيء الكثير فيما أرى ؟

- وأعرف أيضا أن القاضي "ناتير" صديق حميم لكجاك أربول ..
ولهذا جئت أسعى إلى مقابلته ولكنني لم أجد أمضي في رفقته نصف
الساعة حتى حضرت أنت .. لقد سألتك منذ هنيهة عما دعاك إلى
الحضور . ومازلت عند سؤالي .

ونظر "فرساك" إلى القاضي الذي كان متهاكما على مقعده لا يتكلم ولا
يتحرك . والعرق البارد يتصبب على جبينه
ثم عاد "فرساك" ينظر إلى "كوبين" وقال :

- ليس من عابتي أن أجيب عن الأسئلة التي توجه إلي .

فنفث "كوبين" من فمه حلقة من الدخان نظر من خلالها إلى وجه
المفتش الذي يدل على الصلابة والعناد وقال :

- فليكن .. ولكن هل لك في أن تترجم لي جملة لم أفهم معناها بعد ؟

.. وما هذه الجملة ؟

"الرقيق الكبير يطلب منك أن تبقى الليلة في دارك فقد يحتاج إليك" .
وكانت هذه هي نفس الجملة التي رددتها الفتاة المجهولة "فاي" وهي
تخاطب القاضي "ناتير" تليفونيا . إذ كان "كوبين" شديد التلهف إلى
معرفة معناها ومعرفة شخصية ذلك الرجل الذي يرمزون إليه "بالرقيق
الكبير" .

ولو أن "كوبين" القي في القاعة قنبلة لما أحدثت الأثر الذي أحدثته
نطقه بهذه الجملة . ! فلم يكذ "ناتير" يسمعا حتى احتبست أنفاسه
وأخذ صدره يعلو وينخفض وأصيب بالفواق لشدة انفعاله . أما
المفتش "فرساك" فما أن سمع هذه الجملة حتى هب واقفا وقد اتسعت
عيناه ثم ضاقتا واستحالت نظراته جمرات من اللهب !

وصاح "فرساك" في صوت مذبوح :

- كرر هذه الجملة !

فابتسم "كوبين" وقال :

- ألم تحرك ما تريد .. ؟ كنت أسالك أن تفهمني شيئا غمض علي .

- ولماذا تسأل ؟

ورأى القاضي "ناتير" أن الموقف قد تحرج وأنه يوشك أن يتكشف عن

اشياء ينبغي ان تظل مكتومة مستورة . فصاح قائلا بصوته الاجش :
- هذا شيء لا يطاق ! اليس في وسعك ان تفعل شيئا يا 'فرساک' بدلا
من ان تصغي إلى هذا المجنون ؟

فنظر إليه 'فرساک' في ازراء وقال :

- بالتأكيد .. انتزع منه هذا المسدس واقبض لك عليه .

فصرخ 'ناتير' قائلا :

- ساشكوك إلى مدير البوليس .. اقسم اني ساعمل على طريق من
منصيك ! مافائدة القوانين إذن إذا جاء إلى بيتي مجنون يتهديني
بمسبسه تحت سمعك وبصرک !

فقال 'كوبين' مكملا :

- وما فائدة القوانين إذا برا القضاة رجال العصابات الذين يقتلون
الشرطة .. ! هيا بنا ياعزيزي 'ناتير' نشترك معا ونرفع احتجاجا في
هذا الشأن ؟

واحتبس الكلام في صدر 'ناتير' ونهض 'كوبين' واقفا وفي نيته ان
ينصرف إذ كان يعتقد ان لافائدة ترجى من بقائه . وحسبه ان هذه
المقابلة تبشر بمعركة قريبة

وبنا من المكتب ورفع غطاء الصندوق البرونزي الموضوع فوقه
وتناول منه سيجارا كبيرا شمه وهو يقول :

- يجب ان اشكرک ياعزيزي 'ناتير' .. إنك تختار سجائرك من اعلى
الأصناف .. كلا .. كلا .. حسبي سيجارا واحدا . ارجوك الا تلج علي
.. إنك كريم جدا ولا يسعني ان ارفض رجاءك .. !

وافرغ في جيبه صندوق السجائر .. !

ثم بنا من النافذة وهو يقول :

- والآن يجب ان انصرف .. اني أعرف بالتأكيد ان القاضي 'ناتير'
يجب ان يستبقيني اكثر من ذلك ليحتفي بي وليحيطني بترحيبه
الصديق ولكنني اخشى ان تزعج 'ماما' لغيايبي .. غير اني اعدك بان
ازورك في وقت قريب واطفي لهيب الشوق الذي يتاجع في صدرك !

ثم التفت إلى المفتش 'فرساک' وقال :

- ولا ضرورة ياعزيزي 'فرساک' لأن تسرع إلى النافذة لكي تلوح لي

بيدك مودعا .. ! فلك أن تلوح الآن بيدك كما تشاء .. ولا تنس أن في
مستسى ست طلقات.

وتخطى "لوبيين" حافة النافذة ووقف على نتوء الجدار وقال :
- وداعا .. !

ثم توارى عن الأنظار .

ولم يحاول المفتش "فرساك" أن يلحق به . بل لبث مكانه مرسلًا بصره
إلى الظلام الذي يشمل الأرض خارج النافذة
ثم علت شفطيه ابتسامة خفيفة وقال :

- هذا رجل يمكنني أن احبه .. !

فتجههم وجه القاضي "ناتير" وصاح قائلا :

- يمكنك أن تخرج أنت أيضا .. ولكنك ستسمع عن ذلك فيما بعد
فقال "فرساك" في برود :

- أما أنت فستسمع عنه الآن .. !

وكانت في صوته نبرة تهديدية جعلت القاضي يلوذ بالصمت .

وتكلم "فرساك" .. ولم يكن الحديث طويلا . إذ كان المفتش أشبه
برجال الأعمال الذين يؤثرون الإيجاز والاقتضاب .. ولم يحاول أثناء
حديثه أن ينتقي كلمات رقيقة أو أن يتلطف فيما يقول بل افضى بما
في نفسه مستعملا أقسى العبارات وأشدّها وقعا في النفس .
ولما غادر القاعة كان قد ترك وراءه القاضي "ناتير" يرتعد ويرتعش
وهو ملتقع الوجه .

وبعد ثلاث دقائق من خروج "أرسين لوبيين" من النافذة كان "فرساك"
يخرج من باب البيت ويصعد إلى سيارته الواقفة عند الإفريز فيرتمي
على المقعد ويوصد الباب في شدة وغضب .

وعلى حين فجأة سمع إلى جانبه صوتا يقول :

- ارفع بيدك .. ! إننا ذاهبان للنزمة معا .. !

وكان هذا صوت "أرسين لوبيين" .. !

* * *

لم يكد المفتش "فرساك" يسمع هذه الكلمات حتى ففر فمه نهولا .
عندما خرج من بيت القاضي "ناتير" كان منهمكا في التفكير في ذلك

الحديث الذي دار بينه وبين القاضي فصرفته خواطره عن الغنبة إلى اقتراب "أرسين لوبين" من السيارة وفتح الباب في خفة وصعوبة إليها . وفصلا عن هذا فلم يخطر له ببال أن "لوبين" لا يزال موجودا في المكان إذ المفروض أنه اغتنم فرصة إفلاته ناجيا من النافذة وانطلق راكضا بأقصى سرعته .

ولكن هاهو ذا لم يهرب . وهاهو ذا لم يركض .. بل لقد كان جالسا إلى جواره ومسبسه مثبت في جنب المفتش "فرساك" .
وقال "فرساك" متسائلا :

- ماغرضك من هذا ؟

سنتفزه معا .. إنني أريد أن اتحدث إليك وأغلب ظني أنك مثلي راغب في التحدث إلي فأذهب بنا إلى أي مكان شئت .
وتقلص وجه المفتش ولاح عليه أنه يغالب تلك الثورة المصطنعة في أعماق نفسه .. إنه رجل جلد وكفاح وما اعتاد أن يحني هامته أمام إنسان .. ولكن هاهو ذا "لوبين" يصير إليه أمره مرة بعد مرة .. لقد هزمه في بيت القاضي . وهاهو ذا يهزمه للمرة الثانية .
وللصبر حدود .. وللكرامة حق على الإنسان .
ولكن "فرساك" مالبث أن كظم ما بنفسه وقال في صوت ليست فيه نبرة واحدة تل على الغضب :

- اتحب أن نذهب إلى الحقيقة .. ؟

- كما تشاء .

وانطلق المفتش بسيارته وهو صامت لا يتكلم .
وبعد فترة من الوقت قال "لوبين" :
- لقد كنت يدي بحمل هذا المسبب .. فهل ترى ضرورة للاستمرار على ذلك .. ألا يحسن بنا أن نتصافى ؟
فقال "فرساك" مجيبا :

- لا مانع عندي .

ووضع "لوبين" مسبسه في جيبه وقد أيقن أن في وسعه أن يعتمد على شرف هذا الشرطي .

ولما انتهت السيارة إلى (سنترال بارك) أوقفها المفتش في مكان

منعزل والتفت إلى "لويين" وقال :

- والآن ما لعبتك .. ؟

فكان جواب "لويين" :

- إنها نفس لعبتك .. إنك تعمل في حدود القانون . أما أنا فاعمل خارج حدود القانون .. لكل منا طريق خاص يسلكه ولكن الهدف واحد .. ويلوح لي أن طريقي أقصر وأسهل .

فأرسل "فرساك" بصره إلى الطريق وقال :

- إنني أعلم ذلك .. ولهذا لم أحاول أن أمد إليك يدا .. لقد كنت في هذا الصباح أتحدث إلى مدير البوليس وأقول له إنني صاحب أي شخص يخلصنا من هذا الفار الحقيير "أربول" .. ولكنك لن تفلت طويلا من العقاب .

- كن مطمئنا . فالإفلات مهنتي التي تدربت عليها سنوات طويلة .

فقال "فرساك" في لهجة تنم عن الأسى :

- أما مهنتي فتقضي عليّ بأن أقبض عليك وأنزع منك اعترافا وأرسلك إلى المحكمة .. وقد أفعّل هذا غدا فأحذر لنفسك .. إنني لا أجهل نياتك الطيبة ولكنك على الرغم من هذا لا تزال في نظر القانون مجرما لا بد من القبض عليه .. إن هذه المدينة تعج بآبناء العالم السفلي فلا ضرورة إلى أن نزيدهم واحدا .. نعم إنني أحبك ولكن واجبي قبل كل شيء .

فقال "أرسين لويين" :

- إنني أحمّد فيك هذه الصراحة .. ولكن أرجوك ألا تنسى أن عندي مطلقا واجبا ينبغي أن أؤديه .. لقد حضرت إلى هذه المدينة لانتظفها من السفاحين .. وأنت تريد أن تقبض عليّ فهل أفهم من ذلك أنك لا تقرني على خطي .. ؟

فقال "فرساك" في خشونة :

- قلت لك إن واجبي فوق كل شيء .

- حسنا .. ولكن يعني على الأقل أوجه إليك سؤالاً :

- سل مابدا لك .

- من هو الرفيق الكبير .. ؟

فاخرج "فرساك" سيجارا قضم طرفه بأسنانه ثم قال :
- ليتني اعرف .. ! إن زعماء العصابات يتخون لانفسهم هذه
اللقاب الرنانة الطنانة ليستمدوا منها ماييث الشجاعة في نفوس
اعوانهم وهذه مسألة نفسية معروفة .. للاسم الضخم بوي يترك اثرا
.. فلدينا من زعماء العصابات من يسمى نفسه "الوالد الكبير" او
"القنبلة" او "المدفع" إلى غير ذلك من الأسماء الجوفاء .

- إذن فانت لا تعرف هذا "الرفيق الكبير" ؟
- كلا .. إنه رمز لرجل مجهول .. رمز لذلك الرجل الذي يحرك
العصابة الدموية التي منها "موري والينو" و"داتش كيلمان" و"ماك
جير" .. إنه أكبر من هؤلاء جميعا وأكثرهم سطوة ونفوذا .. إنه الرجل
الذي نصب من نفسه ملكا .. للعالم السفلي .. ولكن أين سمعت
باسمه؟

فابتسم "كوبين" وقال :
- كنت استرق السمع .. إنها رذيلة سيئة من رذائلي .
- أين ؟ عند القاضي "ناتير" ؟
- ضمن كما تشاء .
وجذب "فرساك" نفسا طويلا من سيجارته جعل طرفها يلتصق في
الظلام كأنه جمرة ملتهبة .
ثم قال في صوت متهدج :

- اصغ إلي .. إني لن أكذبك في حرف واحد مما تقول عن رجال
البوليس أو عن القضاة في هذه البلاد .. لقد مضت سنوات والعدالة
مهيضة الجناح .. لقد مضت سنوات والحكم للحديد والنار لا للعقل
والقانون .. ولكن سيأتي يوم أظفر فيه بهؤلاء الوحوش واقتص منهم
ولو كانوا في حماية أكبر القضاة .. وإذا كانت هذه الجملة التي
ذكرتها لي قبيلت للقاضي "ناتير" فهذا دليل بين على أن له بتلك
العصابة الدموية صلة وثيقة .. فسأظل طول عمري أبحث وأنقب حتى
أكتشف سر هذه العلاقة وأقيم الدليل عليها .

- ولكن ماعنى هذه الجملة .. ؟ ولماذا يكون الرفيق الكبير في حاجة
إلى القاضي "ناتير" ؟

فقال "فرساك" في صوت ينطوي على المرارة :

- إنك لا تعرف الكثير من نظمنا ولوائحنا .. فاصغ إلي .. من المحتمل جداً أن تلك العصاة تنوي أن تقوم الليلة بعمل ما ومن المحتمل أيضاً أن يقع بعض أفرادها في أيدي البوليس فيساقون إلى التحقيق .. وللتحقيق عندنا أساليب تختلف عن الأساليب المتبعة في بلادكم .. هناك يسألون المتهم فيجيب أو لا يجيب .. أما هنا فنضربه لكي يجيب .. ندخل به إلى القاعة الخلفية المسماة بقاعة التعذيب وهناك يضرب بهراوة من المطاط تؤلمه أشد الإيلام ولكنها لا تترك أثراً في البدن .. وصدقني إن هذا هو القصاص الوحيد الذي ينزل بهؤلاء الوحوش .. ولكنهم لا يرضون به .. فيسرع المحامون إلى قضاة من أمثال "ناتير" لكي يستصروا منه أمراً بالإفراج قبل أن تبدأ عملية التعذيب .. فإذا كانت العصاة قد طلبت إلى القاضي "ناتير" أن يلزم دأره في تلك الليلة فهذا دليل على أنهم يبيتون النية على القيام بجريمة جديدة وأنهم يخشون أن يقع بعض رجالهم في أيدي البوليس فيكونون في حاجة إلى "ناتير" ليصدر أمر الإفراج .
فهز كوبين رأسه وقال :

- فهمت .

ونظر إليه "فرساك" وقال مستفسراً :

- ومن الذي أصدر هذا الأمر ؟

- لا أدري .. لقد جرى الحديث بالتليفون .

كان كوبين يعرف أن فاي هي التي أصدرت هذا الأمر نقلاً عن "الرفيق الكبير" ولكنه كتم هذه المعلومات عن "فرساك" رغم عطفه عليه حتى لا يتيح له فرصة للسبق عليه .

وساد الصمت هنيهة ثم قال "فرساك" متسائلاً :

ما الذي دعاك إلى زيارة "ناتير" ؟

فابتسم كوبين وقال :

- لقد وجهت إليك هذا السؤال من قبل فلم أحظ بالجواب ... ولكنني لن أكرره لأنني وقفت تحت النافذة وسمعت مآذار بينكما . فحملق المفلتس في كوبين وقال في دهشة : وقفت تحت النافذة ؟

- نعم .. ألم اقل لك ان من رذائلي الولع باسترقاق السمع ؟

- ولكنني كنت أحسبك قد انطلقت هاربا ١

- إن الجري فرارا من رجال البوليس يليق بروايات 'شارلي شابلين'
ولكنه لا يليق باسمي وكرامتي ... وصنقني اني كنت شديد الإعجاب
بك وأنا أصغي إلى الكلمات التي كانت تنطق من فمك في انني
القاضي 'ناتير' .. إن لك اسلوبا غاية في البلاغة ٢
فقال المفتش 'فرساك' مزجرا :

- كان ينبغي ان اصارحه بكل ما يجول في نفسي .. لقد افرج عن
'أربول' والدنيا بأسرها تعلم انه هو القاتل ... اني أعلم اني كنت
شديد الوطاة على 'ناتير' وانه قد يتمكن بنفوذه من نقلي إلى منصب
حقير .. ولكني لا ابالي .. حسبي راحة البال
وساد الصمت فترة من الوقت ثم تكلم 'فرساك' قائلا :

- إن السياسة هي التي افسدت القضاء في هذه البلاد .. هناك
جماعة سياسية منظمة تسمى نفسها جمعية 'تاماني' ورئيسها رجل
يدعى 'روبرت أركريد' ولهذه الجمعية وسائل بارعة في الدعاية
الانتخابية حتى يمكن ان يقال إنها تقبض بيد من حديد على الناخبين
وتحركهم كيف شاعت . فمن تقدم هذه الجماعة لمعاونته يضمن لنفسه
الفوز في الانتخاب . وهذه الجمعية إنما تعتمد في تحقيق اغراضها
على فئة من المجرمين يلجئون إلى الإرهاب والتهديد .

وهناك ايضا النائب العمومي المسمى 'ماركوس بيلد' وهو رجل
خرب الذمة لا يرسل القضايا المعهودة إلا إلى قضاة من امثال 'ناتير'
ولعلك لاتجهل ان القضاة هنا ينتخبون مرة كل عام . فإذا ما عرضت
امام أحدهم قضية كبيرة راح يسائل نفسه هل للمتهم علاقة بأحد
رجال السياسة ؟ وهل لذلك السياسي نفوذ في دوائر الحكومة ؟
فإذا كان الأمر كذلك ضمن المتهم البراءة وضمن القاضي تجديد
انتخابه في العام التالي . والويل للقاضي الذي يرسل إلى السجن
متهما له سند بين رجال السياسة ذوي النفوذ .

وهناك مسألة أخرى مهمة وهي أن السياسيين هم الذين يعينون
مديري البوليس .. فإذا أمروهم بأن يفتحوا عيونهم فتحوها .. وإذا

امروهم بان يغمضوها اغمضوها .. ولعل غلظتهم الوحيدة انهم عينوا في المنصب مديرنا الحالي 'كيتروم' فهو رجل عنيد يابى أن يتلقى أمرا من أحد . وقد استطاع في خلال السنوات القليلة التي تولى فيها منصبه أن يظفر بحب الناس وتأييدهم له حتى لم يعد السياسيون يجرعون على فصله من عمله وإلا البوا ضدهم الجماهير والغوغاء .. ولكن الفائدة قليلة محدودة فإن 'كيتروم' يقدم المتهمين والألة إلى النائب العمومي 'ماركوس بليد' وأمثاله وإلى القاضي 'تاتير' وأمثاله .. فتكون النتيجة هم الألة والإفراج عن المتهمين .

نعم يامسيو 'لوبين' .. إن في هذه المدينة جماعة من المجرمين يمرحون ويعيثون في البلاد فسادا دون أن يخشوا القصاص لأن السياسيين يحمونهم من سطوة القانون .. ولذلك فشا الخطف والقتل والابتزاز بالتهديد وكل موبقة ورثيلة .. 'والرفيق الأكبر' إنما يهتم بنوع خاص بالخطف وهي مهنة جزيلة الربح مضمونة الفائدة .. وتصور نفسك في موقف رجل خطف ابنه أو اخوه أو زوجته أو اخته .. ألا ترضى عن طيب خاطر بان تفتديه باي قدر من المال مهما عظم ؟

فأخى 'لوبين' رأسه مؤمنا .

ثم قال فجأة :

- ومن يكون 'بابيلوس' ؟

فأبتسم 'فرسك' وقال :

- إنك فيما أرى تعرف أشياء كثيرة .. 'بابيلوس' هو الذي يتولى حساب الدخل والمنصرف باسم 'والينو' .. أعني أنه أمين الصندوق .

- ومن يكون 'والينو' ؟

- إنه من زعماء تلك العصابات الدموية .. رجل متأنق في ملبسه يصفف شعره ويدهنه بشتى الزيوت والدهون .. إنه يعتقد في نفسه أنه 'رودلف فالنتينو' الثاني . ولكنه لا يخرج من داره إلا في سيارة مقفلة مصفحة .. ولا يمشي إلا وفي ظله حارسان مدججان بالسلاح !

- أليست له مهنة يزاولها ؟

- بلى .. إنه يدير ناديا من أكبر أندية القمار في 'برودواي' .. وقد دهمت ناديه مرتين أو ثلاثا ولكن الأمر صدر بالإفراج عنه حتى قبل أن

يبلغ باب السجن .. فانهب إليه يا صديقي واقتله إذا شئت فلن ألومك .
- واين أجده ؟

فاجاب "فرساك" في هدوء :

- حانة "شارلي" .. بالشارع رقم ٤٩ وهناك أيضا فتاة تدعى "فاي
اندورانس" يمكنك ..

وبتر المفتش جملته إذ ارتفع في هذه اللحظة صوت ثالث صابر من
جهاز الراديو المثبت في السيارة .

وكان الصوت الآلي يقول :

- النداء لجميع السيارات . النداء لجميع السيارات . "فيولا وعمرها
ست سنوات اختطففت من منزلها في ميدان "ساتون" ..

واعتلل "فرساك" في مقعده وتصلبت عضلات وجهه وهتف قائلا :

- إذن فقد ارتكبوا جريمتهم .. !!

واستمر الصوت الآلي قائلا :

- هرب الخاطفون في سيارة مقفلة بنية اللون .. الأرقام الثلاثة
الأولى هي خمسة .. خمسة .. ثلاثة او خمسة .. خمسة .. اثنان ..
المفتش "فرساك" مطلوب ليتولى التحقيق .. المفتش "فرساك" مطلوب
ليتولى التحقيق .. النداء لجميع السيارات ..

وهب "أرسين لوبين" واقفا وهو يقول :

- شكرا لك .. وداعا .. هذه مهمتك ولا شأن لي بها .

وقفز إلى الأرض في الوقت الذي انطلقت فيه السيارة باقصى
سرعتها تلبية لنداء الواجب

واشعل "لوبين" سيجارة وجذب منها بضعة أنفاس ثم أخرج من
جيبه ورقة صغيرة هي تلك الرقعة التي كورها القاضي "ناتير" وألقاها
في سلة المهملات .

ونظر "لوبين" في الورقة وقرا فيها للمرة الثانية نفس الجملة التي
سبق أن قراها من قبل :

"شكرا - بابيلوس"

وكان واضحا ان هذه الرقعة أرفقت بالعشرين ألف دولار التي
أرسلها "بابيلوس" إلى القاضي ناتير . أما لشكر فكان راجعا بطبيعة

الحال إلى تجربته السفاح "أريول".

وقال "توبين" في نفسه :

- لقد انار "فرساك" الطريق .. انتهينا من "فاتير" فلم يبق إلا
"بابلوس" .. ثم "موري" و"الينو" .. وأخيرا نصل إلى "الرفيق الكبير".

الفصل الثالث

صعد "أرسين لوبين" إلى الطابق الأخير من فندق "استوريا" بواسطة المصعد الخاص فالقى "فالكروس" في انتظاره . فارتسمت على شفتي الشيخ الهرم ابتسامة تدل على الاطمئنان وقال :

- يسرني أنك عدت يا لوبين فقد بدأ القلق يسري إلى نفسي .
- لقد تأخرت حقيقة أكثر مما كنت أتوقع . فقد دعوت المفتش "فرساک" إلى نزهة قصيرة .
وومضت عيناه ابتهاجا وهو ينظر إلى امارات الاستغراب التي بدت على وجه "فالكروس" .

واعد لوبين لنفسه اقداح الشراب واشعل سيجارته وهو يقول :
- لعمرى ، إنى لأدهش لكم معشر الأمريكيين . إن سجايركم قبيحة المذاق تنفر منها النفس .. وإنى لأسائل نفسي كيف تطيقون تدخين هذه الأنواع التي تغمر الأسواق .. هل هي بخان حقيقة أم خرق بالية فرمت وحشيت بها اللغائف ؟
فابتسم "فالكروس" وقال :

- إذا كنت تنوي الاحتدني إلا عن السجاير فاولى بي أن اعود إلى كتابي .

- إذن اصغ إلي ..
وانشأ لوبين يحدث المليونير الهرم عن تفاصيل المغامرة التي قام بها . واختتم حديثه بقوله :

- يظهر الا خطر في أن يؤخذ الإنسان إلى نزهة صغيرة .. لقد اخذت "فرساک" وأعدته سليما معافى . ولذلك صبح عزمى على أن اجعلهم ياخذونني إلى نزهة صغيرة .
فقال "فالكروس" ناصحا :

- ولكن نزهتك ستكون من طراز آخر . ستكون نزهة قاتلة !
- فليكن . فإني لا أبالي إن هذه المجازفة هي الوسيلة الوحيدة الكفيلة بأن تدبيني من الغاية التي أنشأها .
وساد الصمت هنيهة ثم أربف لوبين قائلا :

- ليت شعري .. هل تحجرت القلوب حتى يمد الإنسان يده إلى طفلة صغيرة بريئة فيختطفها أو يباعد بينها وبين أهلها . ! ومن أجل هذا إذن استبقوا القاضي "ناتير" في داره حتى يامر بالإفراج عنم يقع منهم في أيدي رجال البوليس .
وهب "كوبين" واقفا وهو يقول :
- إنني خارج .

فنظر إليه "فالكروس" مستفسرا ثم قال :
- ولكنك أرهقت نفسك اليوم بالعمل فيحسن بك أن تستريح .
فهز "كوبين" رأسه في حزن وأسى وقال :
- وكيف تطيب لي الراحة وأنا أعلم أن في ميدان "ساتون" رجلا مسكينا يمزق الحزن قلبه قلقا على طفلته التي اختطفها هؤلاء الوحوش . ساجعلهم ياخذونني إلى تلك الغزوة في هذه الليلة بالذات !

ونظر إليه "فالكروس" في إعجاب وقال :
- لو أن الأيام ارتدت بي إلى الوراء عشرين سنة لتأبطت ذراعك ولصحبتك إلى هذه المعركة .

فوضع "كوبين" يده على كتفه في رفق وهو يقول :
- شكرا لك .. إن "الجميلة" تجعلني في غنى عن المساعدة .
أما "الجميلة" فلنقلب يطلقه "كوبين" على تلك المدينة التي يشدها إلى ساعده والتي طالما نفعته في المواقف الحرجة . فإذا مافتش أعداؤه جيوبه وجربوه من مسدسه استعان عليهم بـ"الجميلة" التي لا يكاد يفتن إلى وجوبها أحد .

وبعد ربع الساعة كان "أرسين كوبين" يديق الجرس المثبت على باب حانة "شارلي" وبعد لحظات فتحت كوة صغيرة في الباب وظهر من خلالها وجه دميم تعلوه عينان تشعان بالخبث والذهاء .
ولكن "كوبين" كان أخبث وأدهى من حملت الأرض . ولذلك قال في جراحة وثبات:

- إنني ادعى "سيمون" . وقد أرسلتني "فاي" إدواردس .
فهز حارس الباب رأسه وقال :

- إن "قاي" لم تحضر بعد . فهل تحب أن تنتظرها ؟
- نعم .. ويمكنني أن أشرب قدحا من الشراب بينما تأتي .
ولم يكن في هيئته مايلير الريب .. ولم يكن في صوته ما يحرك
الشكوك فلم تمض لحظات حتى فتح الباب ليستقبل عدو القتل
والمجرمين .

وعلق "كوبين" قبعته على الشماعة وعبر الردهة الصغيرة إلى القاعة
التي يشغل البار الجزء الأكبر منها .

وكانت الموائد منتثرة في أرجاء المكان وقد جلس إليها جماعة من
النساء والرجال كتب على وجوههم أنهم من رجال العصابات
السفاحين الذين يريقون الدماء بنفس البسطة التي يريقون بها قدحا
مملوءا بالماء !

وشمل "كوبين" الحاضرين بنظرة خاطفة ثم استوى على مقعده أمام
البار وأمر الساقى بأن يعد له كاسا .

وافرغ "كوبين" كاسه في جوفه دفعة واحدة ثم قال يخاطب الساقى :
- ما اسمك يا بني ؟

فنظر إليه الرجل بعينين مغمضتين وقال :

- إني ادعى "توني" ..

- وأنا ادعى "سيمون" . من مدينة "بيترويت" .

فأخفى الرجل رأسه وتفرس في "كوبين" وقال مرردا :

- من "بيترويت" ؟

- نعم .. وهم يلقبونني بالأخضر .. نسبة إلى المائدة الخضراء لأنني

اقضى ليلي ونهارى في لعب القمار .. وقد سمعت أن في هذه المدينة

لاعبين يعرفون كيف يتذوقون اللعبات الكبيرة .

- ماذا تريد ؟

فتفرس "كوبين" في الساقى بنفس النظرات الثابتة التي كان هذا

يتفرس بها فيه . ثم قال في كلمات بطيئة :

- أريد أن ألعب . أريد أن ألعب مع "موري والينو" .

فقال الساقى :

- يجب أن استشير الرئيس أولا .

ثم دار على عقبه وتوارى خلف ستار مسدل على باب يقع في
مؤخرة الجدار !

وبعد بضع دقائق ظهر الساقى ثانية وقال يخاطبه :

- "موري والينو" لا يلعب الليلة .. "بابيلوس" هو الذي يلعب فهل
تريد ان تشترك ؟

ولم يكن "كوبين" يتوقع ان تمهد له الاقدار ان يتصل بـ "والينو" في
اول مرة . ولذلك رأى ان يقنع بمقابلة "بابيلوس" فإنها خطوة لا بأس
بها على أية حال . وفضلا عن هذا فقد غلب على ظنه ان "والينو" كان
منهمكا في تلك الليلة في مسألة الطفلة فيولا انسلهيم .
ولكنه هز كتفيه وقال في غير اكتراث :

- لقد جئت للعب بالاكوف لا بالسنتات .. من هو "بابيلوس" هذا ؟
فإنني لم اسمع عنه .

فابتسم "توني" وقال :

- إن "بابيلوس" لن يرضن عليك باللعبات الكبيرة .. وفي وسعك ان
تقابل "والينو" فيما بعد .. فهل تريد ان تذهب إلى النادي ؟

فهرز "كوبين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- فليكن .. فليست لدي تسلية أخرى .

وهمس "توني" يقول :

- اذهب إلى عمارة "جريلاند" في الشارع الخلفي واصعد إلى الشقة
رقم ١٧١٣ وانبئهم بان "شارلي كوين" هو الذي أرسلك .
- شكرا لك .

وخرج "كوبين" من الحانة وذهب مسرعا إلى عمارة "جريلاند" وركب
المصعد حتى باب الشقة رقم ١٧١٣ .

ولما دق الجرس تحرك الباب مسافة لا تزيد على ثلاث بوصات ورأى
"كوبين" عينين تنظران إليه وتفحصانه من فرعه إلى أخمص قدميه
فقال :

- إن اسمي "سيمون" . و"شارلي كوين" هو الذي أرسلني . فقال
صاحب العينين الفاحصتين :

- "سيمون" .. ؟ من "دانفر" ؟

- كلا .. من "بيترويت" .. وهم يلقبونني بالأخضر نسبة إلى المائدة الخضراء.

فأخني الحارس رأسه وفتح الباب وهو يقول :

- ادخل يا أخضر .. إذا كنت تبغي اللعبات الكبيرة فسجد هنا
اللعبات الكبيرة !

وكان "كوبين" ينشد اللعبات الكبيرة .. ولكنه كان ينشدها بمعنى آخر
لم يخطر لحارس الباب على بال !

* * *

اقتاد الحارس "أرسين كوبين" إلى قاعة كبيرة تتوسطها مائدة
خضراء انتظم حولها اللاعبون وهم مهتمون في اللعب لا يكادون
يلقون بالا إلى من يخرج أو يدخل
وقال الحارس معلنا دخول الزائر :

- "سيمون" الملقب بالأخضر من مدينة "بيترويت" .. إنه يبحث عن
لعبة كبيرة. ونظر اللاعبون إلى زميلهم الجديد وأحنوا رؤوسهم
يحيونه في حركات مقتضبة ثم رجعوا سريعا إلى ما كانوا فيه .
وسحب "كوبين" مقعدا وجلس في مواجهة اللاعب الذي يتولى توزيع
الورق .

وأشعل سيجارته وأخذ يتفحص وجوه الحاضرين . وكانت وجوها
شريرة تدل على أن أصحابها لا يعيشون إلا غارقين في الدماء . إنهم
ملوك وسادة ولكن في العالم السفلي .

وتكلم الرجل البدين وهو ينفث من فمه حلقة طويلة من دخان
سيجاره الضخم - إذن فانت تبحث عن اللعبة الكبيرة .. ستجد بغيتك
هنا .

وابتسم "كوبين" وقال وهو ينظر إلى الأوراق المالية المكبسة على
المائدة :

- يظهر يا أخ انتك لا تعرف ماهي اللعبة الكبيرة .

وقطب الرجل جبينه ثم قال :

- أنا لا أعرف اللعبة الكبيرة ! إذن ماهو المبلغ الذي تبغيه يامستر
"سيمون" ؟ واي لون تخار ؟

فابتسم "لويين" وقال :

- المبلغ عشرون ألف دولار .. واللون هو الأزرق

ولم يكذ "لويين" ينطق بهذه الكلمات حتى ساد السكون الغرفة وتعلقت به الأنظار . فعلى الرغم من أن هؤلاء اللاعبين لا يقيمون للمال وزنا إلا أنهم لا يجهلون أن عشرين ألف دولار مبلغ لا يستهان به .

ورفع الرجل البدين - الذي لم يكن إلا "بابيلوس" - حاجبيه وقال :

- هل لك في أن ترينا مامعك .. أم أن المبلغ مودع في بنك انجلترا ؟

فقال "لويين" :

- بل إنه في جيبتي .

ومد يده في جيبه وأخرج رزمة من الأوراق المالية التي سرقها من القاضي "ناتير" فالتقاهما على المائدة وهو يقول في لهجة تنطوي على التحدي :

- هاهو المبلغ ١

ولكن رزمة الأوراق المالية لم تكن هي الشيء الوحيد الذي استقر على المائدة الخضراء . وإنما استقرت إلى جانبها ورقة صغيرة كانت مشبكة فيها .

أما هذه الورقة فلم تكن إلا الرقعة التي كتبها "بابيلوس" إلى القاضي "ناتير" وأرفقها بالعشرين ألف دولار . ١

ولم يخرج "لويين" هذه الرقعة عفوا . وإنما تعمد أن يضعها تحت نظر "بابيلوس" .. ولكنه تظاهر بالخوف حين رآها على المائدة وهم بأن يلتقطها ليردها إلى جيبه .

ولكن "بابيلوس" كان قد استطاع أن يقرأ الكلمات المكتوبة عليها . فصاح قائلا في لهجة تهديدية :

- انتظر لحظة !

واختطف الرقعة قبل أن تصل يد "لويين" إليها .

وتطأير الشرر من عيني "بابيلوس" وصاح قائلا :

- من أين جئت بهذا المال ؟

فنظر إليه "لويين" في غير اكتراث وقال :

- ولكنها ليست أوراقا زائفة . إنك أنت الذي دفعتها بنفسك ... فقال

بابيلوس" في برود :

- إني أعرف ذلك . ولكني لم أدفعها إليك .

وأوما برأسه إيماءة خاصة لم يغب معناها عن "كوبين" .. فلم تمض لحظات حتى ألقى نفسه أسيرا بين رجلين من سفاحي العصابة يصويان إليه المسدسات ويمسكان بذراعيه حتى يمنعاه من المقاومة .
وأمر "بابيلوس" أعوانه بأن ينهبوا بالأسير إلى الغرفة المجاورة ثم لحق بهم وأوصد الباب وقال له في صوت غاضب هائج :

- من أين أتيت بهذه الأوراق ؟

فصاح "كوبين" في صوت لا يقل غضبا وهياجا :

- هذا ليس من شأنك .

ورفع "بابيلوس" يده في حركة سريعة ونطم "كوبين" على وجهه .. !
ولقد هم "كوبين" بأن ينقض عليه ولكنه كظم ما بنفسه لأن الاشتباك مع "بابيلوس" كان كفيلا بأن يفسد الخطة التي دبرها .. لقد تعمد أن يجعلهم يقبضون عليه لغرض في نفسه . فمن الحماسة أن تثيره هذه اللطمة إلى درجة تجعله يهدم بيديه ما بناه .

وأخرج اليوناني مسدسين من جيبه وصوبهما إلى "كوبين" وهو يقول :

- قلت لك من أين أتيت بهذا المال .. ؟ تكلم وإلا فانت الجاني على نفسك .

فقال "كوبين" بصوته الهادئ :

- لقد عثرت عليه في جيب بنطلوني .

فصاح أحد الحراس قائلا :

- تكلم .. هل أنت مجنون .. ؟

- ولكني تكلمت .. ألم أقل لكم إني عثرت عليه في جيب بنطلوني ؟

ورفع "بابيلوس" يده وهم بأن يلطم "كوبين" للمرة الثانية ولكنه مالبت أن ردما وهو يقول :

- إني لست في حاجة إلى جوابك .. سأعرف المكان الذي جئت منه

بهذه الأوراق .

ومشى إلى التليفون الموضوع على طاولة في ركن الغرفة وأدار رقما

معينا ولما تم الاتصال قال :

- اهذا انت يا حضرة القاضي .. ؟ إنني "بابيلوس" .. اصغ إلي ..
لدي هنا فرد معه عشرون الف دولار ورقة صغيرة من الورق ..
وأخذ وجه "بابيلوس" يتصلب ونظراته تشتت وهو يصغي إلى
ما يفيض به إليه القاضي "تاتير" .
وأخيرا رد السماعرة إلى مكانها وتحول إلى "كوبين" وعيناه ترميان
بالشرر

ثم قال في لهجة ساخرة :

- إن فاسمك مستر "سيمون" !

فأحنى "كوبين" رأسه وقال :

- هذا هو الاسم الذي تدلني به أمي . أما خارج البيت فينادونني

باسم "كوبين" . "أرسين لوبين" !

فهز "بابيلوس" رأسه وقال :

- إن فانت "أرسين لوبين" ! انت الفار الحقيير الذي قتل "أريول" .. !

إن فانت البطل العظيم الذي سينتظف "نيويورك" .. !

وضحك اليوناني ضحكة خشنه رهيبة كأنها صابرة من أعماق

الجحيم وقال مسترسلا :

- مرحبا بك "يالوبين" .. !

ثم دار على عقبه وأصر إلى الحارسين تعليماته .

ولم يسمع "كوبين" كل ما قاله لهما .. ولكن الكلمات القليلة التي

وصلت إلى أذنيه جعلته يبتسم اغتباطا إذ أدرك أن خطته قد نجحت ..

لقد تركهم يقبضون عليه لأنه يريد أن يصل إلى "موري والينو" ..

وهاهو ذا "بابيلوس" يأمر الحارسين بأن يذهبا به إلى "والينو" .. وكان

"لوبين" يعتقد أنه سيجد عند "والينو" الطفلة المخطوفة : "فيولا

انسليهيم" .. !

وصاح به أحد الحارسين قائلا :

- هيا بنا .

فقال "لوبين" محتجا :

- ولكن العشرين الف دولار .. ؟ الا تعيبنونها إلي .. ؟

فضحك الحارس الثاني وقال :

- واية ضرورة لها ؟ .. في المكان الذي ستذهب إليه يكفنون الموتى
ويدفنونهم دون ان يتقاضوا اجرا .. !

وفتح "بابيلوس" الباب ووقف عنده ينتظر خروج "ارسين لوبين" .

ولما مر به "لوبين" ارتقى عليه فجأة وعانقه وهو يقول :

- وداعا يا حبيبى "بابيلوس" .. ! سيفرق هؤلاء الاشقياء بيننا

ولكنى سألفظ النفس الأخير وأنا أريد اسمك المحبوب .. !

ودفعه "بابيلوس" عن صدره وهو يقول :

- ابتعد عني .. !

وابتعد "لوبين" بين حارسيه .

ولكنه كان قد استطاع قبل ان يبتعد ان ينشل من جيب "بابيلوس"

رزمة الأوراق المالية وهو يعانقه ويدسها في جيبه دون ان يشعر به

أحد !

* * *

ركب "لوبين" السيارة بين حارسيه دون أن تجري له في بال فكرة

المقاومة . ليس خوفا من المسدس المصوب إليه وإنما لأنه كان ينشد

هذه الرحلة ويسعى إليها .. كان يبغى ان يكتشف مقر العصابة ليصل

إلى الطفلة المخطوفة "فيولا انسلهيم" .. وكان موقنا الآن انه في الطريق

إلى هذا المقر .

واخذت السيارة تنهب الأرض مجتازة شوارع "نيويورك" حتى

خرجت إلى الضواحي ولم تقف إلا عند بيت يقوم في مكان منعزل يكاد

يكون بعيدا عن العمران .

وكانت عند الباب سيارة أخرى .

وأمر "لوبين" بالنزول من سيارته وارتقى بين حارسيه درجا صغيرا

وبقى أحد الرجلين للجرس فانفتحت في الباب كوة ظهر وراءها وجه

نميم . ولم تلبث ان تحركت المزاليج الحديدية وانفتح الباب .

وكان الطابق الأرضي مؤلفا من ثلاث غرف جعلت الكبرى منها

مشريا وضعت فيها المواد واقامت المقاصير كما هو الشأن في الدور

التي تتخذها العصابات مقرا لها .

وقال أحد الحارسين يسأل الرجل الذي فتح الباب :

- هل هم في الطابق الثاني ؟

- نعم .. وهل هو هذا الرجل .. ؟

وأرسل الحارسان من منخريهما صوتا يشبه فحيح الأنفي .

ولكن البواب فهم من هذا الصوت انهما يؤمنان 'على أن هذا هو الرجل' .

وصعد الرجال الثلاثة إلى الطابق الثاني فالتقى كوين نفسه في ممشى طويل اقتيد إلى الباب الذي يقع في صدره وأمر بالدخول .

وكانت القاعة كبيرة المساحة تتوسطها مائدة عليها بقايا الطعام وزجاجات الشراب الفارغة .

وكان 'موري والينو' جالسا على مقعده عند هذه المائدة .

وعرفه كوين من الأوصاف التي ذكرها المفتش 'فرسك' . ولكن نظرت ما لبثت أن تحولت واستقرت على الفتاة الجالسة عند المائدة .

لم يكن لديه من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد بأن هذه الفتاة هي 'فاي' التي خاطبت القاضي 'ناتير' تليفونيا .. 'فاي إواريس' التي هم المفتش 'فرسك' بأن يحدث عنها حين قطع عليه الراديو حديثه ... ولكن على الرغم من هذا كان موقنا من أنها 'فاي' ... ففي مقر العصابات لا يظهر من الفتيات إلا عدد محدود ! ولو أنه سمع صوتها لقطع الشك باليقين . ولكنها كانت صامتة لا تتكلم .

كانت 'فاي' هيفاء القد شقراء الشعر لها ابتسامة جذابة فيها ما يغري ويدير الرؤوس .. وكانت لا تزال في ربيع الشباب لا تعدو الثالثة والعشرين وما أن رأى كوين وجهها حتى سرت في بديهة نفس النشوة التي شملته حين سمع صوتها في مكتب القاضي 'ناتير' .

وقال 'ارسين كوين' : طاب مساؤكم

ولكنه كان يقصد بهذه التحية 'فاي إواريس' أكثر مما كان يقصد 'موري والينو' .

ولم يجب أحد على تحيته . ولم يكن كوين ينتظر شيئا من هذا القبيل وكان 'والينو' جالسا تحت المصباح الوحيد الموجود في الغرفة وهو يصلل أظفاره ويجري عليها الفرشاة .

وقال 'والينو' : لقد كنت متلهفا إلى رؤيتك .

فابتسم 'كوبين' وقال : وما كنت أنا الأقل منك تلهفا ... فكلانا الآن سعيد راض .. لقد قيل لي إنك غانية 'نيويورك' الحسنة . فارجو أن ترشدينني إلى الحلاق الذي يجعل لك شعرك .. ولكنني انصحك بأن تبحث عن معهد آخر لتجميل الوجوه فإن وجهك في حاجة إلى عملية كبيرة .

وعلى الرغم من هذا الحديث الخفيف الدعائي كان جو الغرفة خائفا مكهريا ينثر بهبوب عاصفة عاتية .

وصاح 'والينو' قائلا : ماذا كنت تقول ؟

- كنت أسالك عن بعض النصائح الخاصة بالتواليت . إن أهداب عينيك تذكرني بأهداب جريتا جارو !

وأجرى 'والينو' يده على شعره اللامع وقال : اقترب مني .

واقترب منه 'كوبين' ولكن عن غير إرادته لأن الحارسين هما اللذان دفعاه إلى ناحيته .

ورماه 'والينو' بنظرة شتراء ثم قال : ألم تسمع بالصندوق الساخن وعلى الرغم منه شعر 'كوبين' برعدة خفيفة تسري في بدنه فقد سمع من قبل بالصندوق الساخن الذي يعد أحدث اختراع اهتدت إليه العصابات للانتقام من خصومها .. ويقال إن آل كابوني نفسه هو الذي اخترعه وجربه للمرة الأولى في أحد رجال البوليس السري الذين وقعوا في قبضته . فمات وهو يتعذب عذابا لم يخطر على بال إنسان . ولكن هذه الرعدة لم تكد تسري في أوصاله حتى تبددت وظلت عيناه كعهدهما ترقيبان 'والينو' بنظرات أحد من السيف .

- نعم لقد سمعت بالصندوق الساخن .. فهل أعدته لتجربه في 'فيولا انسلهيم' ؟

واشتد الجو الخائق الذي يسود الغرفة وانهمك 'والينو' بضع لحظات في صقل أظفاره بفرشة 'المانيكور' . ثم قال أخيرا :

- إنن فانت تعلم بهذا أيضا !

فأحنى 'كوبين' رأسه فقد كانت هذه هي الكلمة التي يبتغيها ليتأكد من أن عصابة 'والينو' هي التي اختطفت الطفلة .. وما من شك في

أنها موجودة الآن في مقر العصاية .. فالخطوة التالية المطلوبة منه هي أن يسعى إلى إنقاذها .
وقال كوبيين :

- إنني أعرف طبعاً .. وهذا هو ما جعلني القي بنفسي في أيديكم حتى إذا أتيتم بي إلى المكان أمكنني أن أنقذ الطفلة فصاح أحد الحارسين قائلاً : إنه مجنون !

ولم يغضب كوبيين لهذه الإهانة لأنه كان يعرف عن نفسه أنه مجنون إذا كان الجنون هو إنقاذ الأطفال المخطوفين مهما استهدف الإنسان للخطر وحده "والينو" بنظرة يتطاير منها الشرر وقال :

- ما الغرض من مجيئك ؟

فكان جواب كوبيين : لقد جئت لكي أقتلك !
وازداد الجو توتراً .. وازدرد "والينو" ريقه .
كان يعرف أن كوبيين أسيره وأنه مجرد من السلاح .. ولكن الرعدة مع هذا سرت في بدنه وهو يتلقى هذه النظرات الهائلة التي يرميه بها كوبيين .

واستمرسل كوبيين قائلاً :

- إنك تعرف من أنا .. إنني "أرسين لوبيين" ... و "لأرسين لوبيين" طريقته الخاصة في تنفيذ العدالة .. قتل "جاك أربول" بعد ظهر اليوم وسأقتلك الليلة .. إنني أكبر من القانون ... وعدالتي لن تجد قضاة يعرقلون سيرها ... !

وابرقت عيناً "والينو" وقال متهمكاً : يظهر أنك مغرور بنفسك !
فأحنى كوبيين رأسه وقال : نعم .. إنني مغرور بنفسي .
وقبل أن يفرغ من هذه الجملة دوت في الغرفة ثلاث صرخات :
كانت الصرخة الأولى من أحد الحارسين لأن كوبيين كان وهو يتحدث قد استطاع أن يستقل المدية المشدودة إلى نراعه فغرزها في يد الحارس الذي كان ممسكاً به ليمنعه من الحركة فصرخ الرجل وتخلّى عن كوبيين !

أما الصرخة الثانية فكانت من الحارس الثاني على إثر اللكمة التي سددها كوبيين إلى فكه !

وأما الصرخة الثالثة فكانت من "والينو" نفسه لأن "لويين" مزق بطنه
بمديته !

وقد وقعت هذه الحوادث الثلاث في سرعة البرق حتى لكانها حادث
واحد .

وقبل أن ينتبه رجال العصابة إلى ماجرى كان "لويين" قد سدد
الضربة الرابعة إلى المصباح الوحيد الذي ينير الغرفة فحطمه وساد
المكان ظلام دامس !

ووثب "لويين" إلى النافذة .

وقبل أن يتخطاها إلى الخارج شعر بيد تلمس ذراعه .. فرفع المنيعة
ليضرب الضربة الخامسة . ! ولكنه رد ذراعه في اللحظة المناسبة .

لم تحاول تلك اليد أن تقبض على ذراعه .. بل كان ملمسها خفيفا
رقيقا .. كما سطع أنفه عبير عطر شذي .. وفي نفس الوقت شعر
بجسم بارد صلب يحذك بيده .. فعرف أن هذا الجسم مسدس
فتقبضت عليه أصابعه .

وفي اللحظة التالية ابتعدت اليد التي لمست ذراعه وتبدد العطر الذي
شمه .

الفصل الرابع

عندما كان كوين" أسيرا بين حارسيه أرسل بصره إلى الخارج فرأى أن سطح الطابق الأول من المنزل قريب من النافذة . فإذا ما تخطاها أمكنه في سهولة أن يستقر فوق هذا السطح .

وكان هذا هو ما فعله في تلك اللحظة .. تخطى حافة النافذة ووضع قدميه فوق السطح .. كان الموقف رهيبا حافلا بالمخاطر لأن السطح منحدر في زاوية حادة لا تعين على استقرار القدم . فرأى كوين" أن يرمي بجسده على السطح ليخفف من تعرضه للانزلاق .. ثم زحف على وجهه حتى بلغ الحافة السفلى للسطح .

وهناك سمع أصواتا صادرة من الحديقة يقول أصحابها :

- لابد أنه هرب من هنا !

- إني أخشى أن يركب السيارة ويهرب بها .

- ولكن المفتاح معي .

- ثم سكنت الأصوات .

ولبت كوين" مكانه وهو يفكر في الخطة التي ينبغي له أن يتبعها .. لم يكن يريد أن يهرب فحسب وإنما كان يريد أن ينقذ الطفلة "فيولا" أنسلهم

وكان يفكر أيضا في "فاي إدواردس" .. لماذا لمعت إلى يده هذا المسس ؟ ولماذا حاولت أن تعينه وهو في شدته ؟ وما السبب الذي يدعوها إلى الاندماج في هذه العصابة الدموية التي لا ترتوي إلا بالدماء . إن على وجهها سيماء الوداعة وفي عينيها جانبية لطيفة .. فأي دافع يحملها على أن تتصل برجال من هذا الطراز أدنى إلى الوحوش منهم إلى البشر !

عندما اغمد مديته في قلب "والينو" اختلس إلى الفتاة نظرة خاطفة فلم ير في عينيها رعبا أو خوفا .. بل رأى وميضاً غريباً لم يفهم له معنى .

ولم يكن في نية كوين" طبعاً أن يستمر في وضعه هذا طول الليل .. وكان الوثوب إلى الأرض مستحيلاً لبعد المسافة . فما كان منه إلا أن

تعلق بحافة السطح وتبلى بجسمه في الهواء فاستطاع بذلك أن يرى
أن إحدى نوافذ الطابق الأرضي موجهة له .

وكانت الغرفة شبه مظلمة ولكن الضوء كان يشع إليها من خلال
الشراعة التي بأعلى الباب . فاستطاع أن يرى بعينه النفاذتين سريرا
قائما في ركن الغرفة . وكان سريرا صغيرا لا يصلح إلا للأطفال .
فعرّف على الفور أن "فيولا" أنسلهيم" نائمة في هذا السرير .

وطوح "كوبين" بجسمه في الهواء عدة مرات وهو ممسك بحافة
السطح وفي المرة الأخيرة دفع بقدميه زجاج النافذة فانفتحت على
مصراعها وشق سكون الليل صوت الزجاج وهو يتهشم !
وفي اللحظة التالية كان "كوبين" داخل الغرفة !

وأيقظت الجلبة الطفلة من نومها فانتصبت جالسة في سريرها
وهي تحمق في الظلام فاندحنى عليها "كوبين" وهو يقول في صوت
رقيق :

- لقد جئت يا صغيرتي لأعيدك إلى بيتك فهل تريدين أن تعودي .. ؟
فاحتنت الطفلة رأسها وارتسمت على شفثيها ابتسامة ظريفة
فحملها "كوبين" بيده اليسرى وأمسك بيده اليمنى المسدس الذي قدمته
إليه "فاي إواريس" وقال للطفلة :

- تعلقى بي يا "فيولا" .. سنطلق الآن بعض الصواريخ فهل يخيفك
الدوي ؟

فهزت الصغيرة رأسها وقالت : كلا إني أحب الصواريخ .
- وسيكون لك ما تحبين .

وكان الباب موصدا فسد "كوبين" مسدسه إلى القفل وأطلق رصاصة
حطمته ولكنه حين فتح الباب رأى على عتبته جثة رجل غارق في
الدماء !

وذلك أن الرجل المكلف بحراسة الطفلة وضع عينه على ثقب الباب
حين سمع صوت الزجاج يتهشم لكي يرى مايجري داخل الغرفة . وفي
هذه اللحظة أطلق "كوبين" مسدسه على القفل .

وابتسم "كوبين" وقال يخاطب الطفلة :

- هذا هو الصاروخ الأول .. فهل أنت خائفة ؟

- كلا .. أرجوك ان تطلق صواريخ أخرى -

واجتاز كويين المشى مسرعا وهم بان ينزل الدرج في الوقت الذي بدأ فيه رجال العصابة يصعدون ولكنه كان اخف منهم حركة فوثب فوق رؤوسهم فإذا هو في الردهة السفلى قبل ان ينتبهوا إلى ما حدث.

ولكنهم انتبهوا حين عاجلهم كويين من الخلف برصاصة من مسدسه اربت أحدهم قتيلا . اما الرصاصة الثانية فاطلقها على المصباح الذي يضيء الردهة فانتشر الظلام لولا ذلك الشعاع الضئيل الذي يسري إلى المكان من قاعة البار.

وتوارى كويين خلف سياج السلم في الوقت الذي اخذ رصاص المسدسات ينهال حوله كالسيل الجارف .

وتقريبا للواقع يجب ان نقول إن رجال العصابات لا يجيدون إصابة الهدف . وليست بهم من حاجة على أية حال إلى ان يتعلموا الإصابة إذ إنهم يدرجوا على استعمال مدافعهم الرشاشة . فمإذا كان لهم خصم لم يطلقوا عليه رصاصة من مسدس وإنما يطلقون عليه الافا من الرصاصات تخرج من فوهة المدفع الرشاش كأنها نيران مندلعة من فوهة بركان ثائر . فتنتشر في دائرة قطرها لا يقل عن متر أو مترين . ومن المؤكد ان تصيب رصاصة من هذه الاكوف عدوهم المنشود .

ولهذا كان كويين مطمئنا إلى ان رصاصات المسدسات التي تطلق عليه ستطيش عن الهدف .

ولكن مامن رصاصة أطلقها كويين إلا استقرت في جسد أحد رجال العصابة .

وبعد بضع لحظات .. وبعملية حسابية سريعة عرف كويين انه لم يبق من رجال العصابة إلا أربعة ورجح لديه ان اثنين منهم خارج المنزل يتولى أحدهما حراسة الباب ويتولى الثاني حراسة السيارات . وهمس كويين في اذن "فيولا" قائلا : عليك بالباب وانطلقى هاربة إلى الخارج .

وجرت الطفلة إلى الباب وخرجت منه فانبعث حارس الباب خلفها فاطلق عليه كويين رصاصة اربته قتيلا .

وانطلقت الطفلة تجري في الحديقة "لوبيين" لا يزال داخل البيت يتابعها بنظراته..

ورأى "لوبيين" شبحا آخر يخرج من الظلام ويجري وراء الطفلة فعاجله برصاصة من مسدسه عرف انها اصابت الهدف حين سمع صرخة متوجعة وحين رأى شبح الرجل يتوارى بغتة كانما انشقت الأرض وابتلعه.

وقفز "لوبيين" قفزة كبيرة جعلته خارج المنزل . فأسرع وراء الطفلة وحملها ووثب إلى إحدى السيارتين .

كان "لوبيين" قد عرف من الحديث الذي جرى بين بعض رجال العصابة وهو مختبئ فوق سطح البيت أن مفتاح السيارة التي جاء فيها موجود مع أحد الرجلين .. ولذلك اختار أن يركب السيارة الأخرى الثقيلة التي راها واقفة بالباب عند قبومه وهو يقول في نفسه :

- ليت شعري هل أجد مفتاحها فيها .. ؟

وعرف أن الأقدار لا تزال راضية عنه حين وجد المفتاح .

وقبل أن ينطلق بالسيارة سمع خلفه نوبيا هائلا .. فلما التفت رأى أحد رجال العصابة واقفا على عتبة البيت وهو يطلق النار على السيارة من مدفع رشاش .

ولم يخف "لوبيين" ولم يرتعد لأنه كان يعلم أن هذه هي سيارة "موري والينو". وقد نكر له المفتش "فرسك" أن "والينو" لا يركب إلا سيارة مصفحة .

وانهالت الطلقات النارية على السيارة دون أن تؤثر فيها .

ولم ينس "لوبيين" وهو منطلق بها أن يهتف بأعلى صوته قائلا :

- وداعا أيها الأصدقاء .. سارسل باقات من الورد لتوضع على قبور

الموتى..!

* * *

أوقف "لوبيين" السيارة في ميدان "ساتون" وأيقظ الطفلة التي كانت

رائدة إلى جواره وقال لها : اتعرفين بيته .. ؟

فاومات الطفلة إلى بناء قريب وقالت : هذا هو "بيتي"

- إنني عودي إلى أبيك وقولي له إن "أرسين لوبيين" هو الذي أتى بك ..

"أرسين لوبين". فهل أنت فاهمة ؟

فاحتنت الطفلة رأسها وقالت مرعدة : نعم .. "أرسين لوبين" هو الذي جاء بي .

ثم نزلت من السيارة وانطلقت إلى بيتها و"لوبين" يشيعها بنظراته .
وبعد ربع الساعة كان في الطابق الأعلى من فندق "استوريا" .
وكان "فالكروس" راقدا في فراشه يرقب عودته بفروغ صبر فقال له
لوبين : لقد أعدت "فيولا انسلهيم" إلى بيتها .
فساله الشيخ الهرم قائلا : وهل قابلت "والينو" .

- نعم قابلته . وقد أرسلته في مهمة صغيرة إلى الجحيم ..
وأخرج لوبين من أحد الأراج ورقة صغيرة كان مكتوبا عليها ستة
أسماء وكان الأول منها وهو اسم "أربول" مشطوبا فتناول قلما وشطب
الاسمين التاليين ثم كتب في نهاية القائمة اسما جديدا هو "الرفيق
الكبير" .. !

وهم بان يكتب اسما ثامنا ولكنه تردد هنيهة مالبث قلمه على اثرها
ان كتب هذا الاسم : "فاي إينوارس" ولكنه وضع هذا الاسم بين
قوسين .. !

وقال "فالكروس" يساله : ولكن من تكون "فاي إينوارس" ؟ ..
- هذا ما انشد معرفته .. ولكن حسبي ان أقول إن مسدسها هون
علي امر النضال كثيرا وجعل كسب المعركة أسهل مما كنت أتوقع وغدا
لن يكون للمصحف من حيث إلا عن هذا الحادث .

وقد أصاب لوبين في نبوءته لأن المصحف خرجت على الناس في
صباح اليوم التالي واسم لوبين يشغل صدرها بالخط العريض حتى
لقد أحمر وجهه حياء وتواضعا وهو يرى أمام عينيه مثل هذه
العناوين : "لوبين ينقذ" "فيولا" .. !

- مصرع "والينو" .. ! لوبين يقتل اثنين ويجرح ثلاثة . عملية
تنظيف واسعة النطاق .. لوبين يعلن الحرب على العصبيات ..
لوبين يقاتل خاطفي الأطفال .. الخ .

كما كانت المصحف ملأى بصور متعددة لفيولا انسلهيم تتوسطها
صورة كبيرة ل"أرسين لوبين" نفسه سره منها أنها تمثله في وضع

جذاب .

ولما فرغ "كوبين" من طعامه بنا من الخافذة وأرسل بصره إلى المدينة . كانت الشمس مشرقة والسماء صافية والجو منعشا ظريفا يغري المرء بأن يقضي نهاره في الحدائق والحقول . ولكن "كوبين" لم يفكر في جمال الطبيعة وإنما كان يفكر في الخطوة التالية التي ينبغي له أن يتخذها .

وتناول البطاقة المكتوب عليها أسماء أفراد العصابة والقى عليها نظرة عجلى ثم تنهد وقال في نفسه : ليت شعري من التالي ؟ ولم يكن "كوبين" هو وحده الذي يردد هذا السؤال بل كان يردد معه أفراد العصابة أنفسهم وهم مجتمعون في إحدى الغرف الداخلية في حانة "شارلي" .

كانوا جالسين إلى إحدى الموائد يشربون ويدخنون السجائر ويتبادلون الرأي في هذا الخطر الداهم الذي هبط عليهم من الجحيم . وكان "هيمي فيلبر" لا يفتأ يقول : إنه مجنون ..! وكان في ذلك اليوم فخورا بأنه أحد الرجال القلائل الذين اشتبكوا في المعركة مع "أرسين كوبين" وظل حيا ليروي قصته ..! ولكن مما يؤسف له أنه كان عبي اللسان قليل الفصاحة لا يجد من حسن البيان ما يعينه على إجابة الوصف .

وقال "هيمي فيلبر" يصف ما حدث : كلما وجهنا إليه سؤالاً لم نظفر بالجواب .. من أين لك هذا المال ؟ من أين جئت بهذه الأوراق ؟ .. وهو صامت لا يجيب .. فما كان من "بابيلوس" إلا أن لطمه على وجهه .. واتصل "بابيلوس" بالقاضي "ناتير" فعرف منه أن المال سرق منه وأن السارق هو "أرسين كوبين" .. وأمرنا "بابيلوس" بأن نذهب به إلى "موري والينو" الذي كان في المقر العام مع "فيولا" .. إن "كوبين" مجنون .. نعم .. إنه مجنون .. لقد جعل يتحكم على والينو ويهزأ به .. وأنتم تعلمون أن والينو لا يطيق أن يهزأ به أحد .. ولكن "كوبين" استمر في تهكمه لأنه مجنون .. وفجأة استل مدينه وطعن بها نراعي .. ثم اغمها في بطن والينو وبعد ذلك ضرب المصباح بمقبضها فاطفأ .. وفي الوقت الذي كنا نبحث عنه كان قد دخل إلى غرفة الطفلة وانقذها .. وكان معه

مسند لا ادري من اين جاء به فاخذ يطلقه علينا ثم قفز إلى سيارة
'والينو' المصفحة وهرب بها .. إنه مجنون .. نعم إنه مجنون .
وافرغ كاسه في جوفه دفعة واحدة وعاد يقول :
- نعم .. إنه مجنون !..

فقد كان لضالة حظه من أساليب البيان يعتقد ان تربيد هذه الجملة
يفني عن الإيضاح والإسهاب .

وكان يتصدر المائدة رجل بنين مرهل الجسم يدعى 'داتش كيلمان'
ينزل من هذه الجماعة منزلة الزعيم المطاع . وكان صامتا يصفي إلى
هيمي فيلنر فلما فرغ هذا من حديثه تمتم 'كيلمان' قائلا :
- هذا عار كبير.. وكان 'والينو' ولداً طيباً..!

وساد الحاضرين سكوت قصير احتراماً لذكرى الراحل الكريم الذي
كان ولداً طيباً ..!

وقال 'كيلمان' متسائلاً : ما الذي يجنبه 'لويين' من هذا التدخل ؟
فقال 'بابيلوس' مجيباً : لقد جنى حتى الآن عشرين ألف دولار من
القاضي 'تاتير' .. ومن المحتمل ان 'انسلهيم' اجزل له العطاء .
وارسل 'كيلمان' بصره إلى المتكلم فلم يملك 'بابيلوس' ان ارتعد تحت
تلك النظرات النفاذة الشنواء فقد كان يعلم ان 'والينو' لم يمت إلا لأنه -
أي 'بابيلوس' - ارسل إليه 'لويين' تلك المذبة .. فلو انه احسن
تفتيشه لما وقعت تلك النكبة . وما من شك في انه يعد مسؤولاً في نظر
الرفقاء .

واسترسل 'كيلمان' قائلاً : ولكنه كان يتحدث عن العدالة وعن
القضاة الذين يعرقلون سير العدالة .

فتمتم 'هيمي فيلنر' قائلاً : إنه مجنون .. إنه مجنون !..
فهز 'كيلمان' كتفيه في غير اكتراث ثم ضرب المائدة بقبضة يده
الضخمة وقال :

- إنه ليس مجنوناً .. بل انتم المجانين .. نعم انتم المجانين لانكم
اتركون رجلاً مثله يصرع خمسة منكم وانتم جلوس مكتوفو الأيدي
لاتحركون ساكناً .. لقد شرع يتالكم واحداً بعد الآخر .. يطلق النار ذات
اليمن وذات الشمال .. وما من رصاصة خرجت من مسدسه إلا اصابت

من أحكم مقتلا .

فقال "هيمي فيلدر" إنه ..

ولكن "كيلمان" لم يدعه يتم الجملة وإنما صاح قائلا :

- مجنون .. اليس هذا هو ماتريد أن تقوله ؟! اقطع لسانك ولا تتكلم

.. إننا نريد عملا لا كلاما .. قتل "أربول" .. وقتل "والينو" .

وقتل "فولسانج" .. وانتم هنا تبحثون في هل هو مجنون أو غير

مجنون .. وأولى بكم أن تقولوا لأنفسكم : من الذي سيقتل بعد ذلك ؟!

من الذي عليه الدور ..؟ من التالي ؟!

وقرع باب الغرفة في هذه اللحظة وبخل الرجل الذي يتولى حراسة

الباب الخارجي وهو صاحب اللون بادي الخوف فقال له "كيلمان" في

صوت جاف : ماذا تريد ؟!

فمد الحارس يده ببطاقة صغيرة وهو يقول ؟!

- لقد بق الجرس ففتحت الكوة ونظرت منها فلم أجد إلا يدا تحمل

هذه البطاقة فتناولتها ولما قرأت ماهو مكتوب عليها فتحت الباب

مسرعا فلم أجد أحدا في الخارج . فرايت أن أتيك بالبطاقة لأنها تهملك .

ولم يجب "كيلمان" بكلمة واحدة إذ كان بصره مسمرا على البطاقة

وشفتاه ترتجفان ويده ترتعد !!

لم يكن على البطاقة إلا ست كلمات .. ولكنها كانت كلمات رهيبة

مخيفة

أما هذه الكلمات فهي :

"دانش كيلمان هو التالي .

"أرسين لوبين"

* * *

رفع "كيلمان" عينيه عن البطاقة ونظر إلى حارس الباب .. وكانت

نظراته وحشية تنذر بالشر المستطير !

ولكنه قال في صوت رقيق لطيف : تعال هنا يا "جو" .. إنك ولد طيب

ولعق "جو" شفتيه بلسانه وانفرجت شفتاه عن ابتسامة بلهاء لامعنى

لها .

وأخرج "كيلمان" سيجارا ضخما من جيبه أشعله وهو يقول :

- إنك أنت الذي سمحت للوبيين بالامس .. ؟

فازدرد المسكين ريقه وقال في كلمات متلعثمة :

- إن ماحدث يا"داتش" هو أن .. هو أنه قرع الجرس وسألني عن "فاي" فأنبأته بأنها لم تحضر بعد وأن في وسعه أن ينتظرها إذا شاء

- ولهذا سمحت له بالدخول .. إليس كذلك ؟ ..

- المسألة يا"داتش" هي هذا .. لقد قال إنه سيشرب قحاح من شراب ريثما تحضر .. ولم يكن في هيئته مايبثير الشك .. وفضلا عن هذا فقد ظننت أن لوبيين ..

فقاطعه كيلمان في لهجة ودية : ماذا كنت تظن ؟ ..

فتململ الحارس في وقفته وقال :

- كنت أظن أنه فريسة التقطتها "فاي" .. إنك تعلم أن عملي هو حراسة الباب .. أدخل هذا وأخرج ذاك دون أن أنري شيئا مما يجري ومع ذلك فلم أكن أعتقد أنه يستطيع وهو بمفرده أن يفعل شيئا ضحك كما أنه لم يكن في وسعي أن أوصد الباب في وجهه إذا كان "فريسة" أرسلته "فاي" ..

- ولهذا أدخلته ؟ إليس كذلك ؟

.. بلى أدخلته .. المسألة يا"داتش" هي أن ..

فقال كيلمان "يقاطعه بصوته العطوف الرفيق : كم أعطاك يا "جو" ؟ وفهم الرجل ما يرمي إليه الزعيم فأتسعت حدقتاه خوفا وصاح قائلا :

- هذا كذب .. هذا كذب .. إنه لم يعطني شيئا .. أقسم لك أنني لم أره من قبل .

فقال كيلمان : اقترب مني يا "جو"

واقترب "جو" من زعيمه وهو يرتعد وجلا .

وجذب كيلمان من سيجاره الضخم نفسا طويلا متصلا جعل طرف السيجار يلتهب كأنه قطعة من الجمر .

وقبل أن يطفن "جو" إلى ماحدث تحركت يد كيلمان في سرعة البرق وفركت طرف السيجار الملتهب في وجنة حارس الباب .

وصرخ الرجل متوجعا وارتد خطوة إلى الوراء ولكن بعد أن الهبت

النار بشرته .

ولم يتحرك أحد من الحاضرين بل لقد انفجرت أساريرهم كأنهم يشهدون رواية مضحكة .

واشعل "كيلمان" سيجاره ثانية وقال :

- إنك ولد طيب يا "جو" .. فانتظر في الخارج حتى أستدعيك .

ولما أوصد الباب خلفه قال "كيلمان" يخاطب الحاضرين :

- يبدو أننا سنفقد "جو" .

وشرب "بابيلوس" جرعة كبيرة من كأسه ثم قال : اصغ الي يا "داتش"

وكان صوته متهدجا ولكنه حاول أن يجعله هادئا ثابتا :

- إنني لا أرى فائدة يا "داتش" في أن نقلل رجلا لأنه أخطأ .. لقد

أدخل "لوبين" .. هذا صحيح .. ولكنها غلطة وليست خيانة .. وكل

إنسان عرضة للخطأ .

ولم تكده هذه الكلمات تخرج من شفثيه حتى عرف غلطته . فقد صاح

أحد الحاضرين قائلا :

- وما الفرق بين الغلطة والخيانة مادامت النتيجة واحدة ؟

ولم يجزئ "بابيلوس" أن يدافع عن نظريته لأنه كان يعلم أنه هو

نفسه قد أخطأ حين أرسل "لوبين" إلى "والينو" ومعه المسدس والمدينة .

وقال "كيلمان" في صوت رقيق :

- نعم . ما الفرق بين الخيانة والغلطة مادامت النتيجة واحدة ؟

وأنت أيضا يا "بابيلوس" ولد طيب .. لماذا أرسلت "لوبين" إلى "موري

والينو" ؟ ولماذا أرسلته دون أن تجرده من مديته ومسدسه ؟

واستجمع "بابيلوس" شجاعته وصاح قائلا : هل أنت معتوه ! لقد

أرسلته لأنني أعلم أن "والينو" يريد أن يقابله .. ولم يكن معه مسدس أو

مدينة .. و"هيمي فيلدر" يستطيع أن يؤكد ذلك .. لقد فتشه

فصاح "فيلدر" قائلا : هل تريد أن ..

ولكن "بابيلوس" قاطعه بقوله :

- اجلس .. إنني لا اتحدث عنك الآن .. لقد أريت أن أقول إن "داتش"

أصبح مجنوناً .. إنه يريد أن يعتبر أن كل شخص لمس "لوبين" قد

انقلب خائناً غافراً .. سيتخلص من "جو" .. ثم مني .. ثم منك .. وهكذا

.. إنه يريد أن يقتل كل رجل في العصاية قبل أن تنزل به الضربة التي بعدها له "كوبين".

ولكن "بابلوس" لم يزد على هذا القول شيئا إذ أخرج "كيلمان" مسدسه وصوبه إليه وهو يقول : إنك تتكلم كثيرا يا "بابلوس" .
فامتقع وجه اليوناني وقال وهو يحاول أن يبتسم :

- إنني أسف يا "داتش" .. إنني لا أقصد ما أقول .. ولكن اليس من الأفضل أن تقتل "كوبين" بدل أن تقتل احدا ؟

فصاح "هيمي فيلدر" قائلا : هذا رأي سيدي .. نعم يجب أن تقتل "كوبين" .. وسأتولى أنا نفسي هذه المهمة .

فابتسم "داتش كيلمان" وقال ومسده مصوب إلى "بابلوس" :

- نعم سنقتل "كوبين" حتى لا يقع احد في غلطة جديدة .. إنك ولد طيب يا "بابلوس" .. انتظر في الخارج حتى استدعيك . فإننا نريد أن نتحدث قليلا على انفراد .

وخرج "بابلوس" من الغرفة يتعثر في خطواته دون أن ينطق بكلمة واحدة فقد كان يعرف من تجاربه السابقة الا فائدة من أن يدافع الإنسان عن نفسه ... وكان يعرف أيضا أن هناك معنى واحدا لهذه الجملة : "انتظر في الخارج حتى استدعيك"
وهذا المعنى هو أنه حكم بالإعدام .

وجلس "بابلوس" في البار وطلب قدحا من الشراب فلما اتاه به "توني" أفرغه في جوفه دفعة واحدة .

ونزل على مقعده صامتا شارد البال شأن الرجل الذي يعلم أنه قضي عليه بالموت وأنه لن تمضي بضع ساعات حتى يصبح جثة هامة !
ولم يكن له رجاء في أن يلقى معونة من احد .. كان "داتش كيلمان" جبارا عنيدا وليس في العصاية كلها رجل واحد يستطيع أن يرفع يده في وجهه وعلى حين فجأة ارتسم أمام عينيه وجه رجل ليس من أفراد العصاية ... رجل له عينان هازئتان وابتسامة متهمكة .

وايقن "بابلوس" على الفور أن هذا الرجل يستطيع أن يفعل ما لا يجزئ احد من زملائه على مجرد التفكير فيه .

فلماذا لا يلجأ إلى هذا الرجل لكي ينقذه من حكم الإعدام الذي صدر

ضده..؟ وأزاح "بابيلوس" كأسه الفارغة وانبعث واقفا ومشى إلى الباب.

ولما مر بالحارس "جو" تبادل الرجلان نظرة صامتة : كان كل منهما يعرف عن نفسه أنه مقضي عليه بالإعدام وأنه لم تبق له في الحياة إلا ساعات معدودات ولكن "جو" كان يجهل أن زميله انتهى إلى نفس مصيره . فلما فتح الباب له ليخرج إلى الطريق شيعه بنظرة مليئة بالحسرة والأسى وهو يقول في نفسه : لقد كتبت له الحياة ..!

دون أن يدري أن الموت كتب لكليهما ..! ولم يكد "بابيلوس" يخرج إلى الطريق حتى وثب إلى سيارته مسرعا وهو يخشى أن يلحق به رجال العصابة إذا ما عرفوا بخروجه . وما استقر على المقعد حتى أطلق سيارته العنان وأخذ ينهب بها الأرض نهبا .

لم يكن يدري أين يمكن أن يهتدي إلى "أرسين لوبيين" ليستنجد به ولكنه كان يدري شيئا واحدا هو ضرورة الابتعاد وبأسرع مايمكن عن حانة "شارلي" وعن في حانة "شارلي" ..!

وعلى حين فجأة شعر بحركة خلفه .. فلم يلتفت إلى الوراء حتى لا تضطرب عجلة القيادة بين يديه . ولكنه رفع عينيه إلى مراة السيارة . ورأى يدا تبرز خلفه من الظلام مرتفعة من بطن السيارة .. وكان في هذه اليد مسدس رهيب ..!

وارتعد "بابيلوس" واضطربت يدها وزاغت منه السيارة يمينا وشمالا وقد أيقن أن ساعة الإعدام قد أرقت ..!

ولكنه بذل جهدا خارقا حتى تمكن من ضبط حركة السيارة . وفي تلك اللحظة شق السكون صوت .. لم يكن صوت مسدس ينطلق .. وإنما كان صوت رجل يقول : كيف حالك يا "بابيلوس" ..!

وكان صوتا هازلا متهمكا .. لأنه لم يكن إلا صوت "أرسين لوبيين" ..!

الفصل الخامس

حين سمع 'بابلوس' هذا الصوت ذهبت عنه رعدة الخوف التي كانت قد سرت في أوصاله وهمس قائلا : 'إني سعيد بلقائك .. كان في نيتي أن أبحث عنك.'

فقال 'كوبين' في صوت ودود : 'حقا .. أكنت تنوي أن تبحث عني ..؟'
بالصدفة السعيدة ..! لقد صدق من قال إن من القلب إلى القلب رسولا.

ونكر 'بابلوس' مقابلة أخرى جرت بينه وبين 'كوبين' . مقابلة كان فيها 'كوبين' أسيرا بين يدي رجال العصابة والمسدسات مصوبة إليه . وفي هذه المقابلة لم يقل 'بابلوس' إنه سعيد بلقاء 'كوبين' وإنما رفع يده ولطمه على وجهه .. ومحال أن ينسى 'كوبين' هذه اللطمة .. ومحال أيضا أن يصدق أن 'بابلوس' كان حقيقة في هذه اللحظة سعيدا بلقائه !

وقال 'بابلوس' مريدا جملة في صوت متحشرج :

- نعم .. كنت أبحث عنك .. كنت أريد أن أتحدث إليك .

ويظهر أنك كنت شديد التلهف إلى لقائي إلى درجة جعلتك تنطلق بالسيارة في حركة فجائية سريعة حتى خيل لي أنك تركت وراءك نصفها الخلفي .

فقال 'بابلوس' في صوت مرتعد : 'بل أسرعرت لأن ورائي مدفعا رشاشا ولم يقل 'كوبين' شيئا .. ولكنه ضحك فصاح 'بابلوس' قائلا :
- أقسم اني لا أكذب .. لقد صدر الحكم بإعدامي .. لقد أرسلتك إلى 'والينو' ومعك الملية فاعتقدوا اني على اتفاق معك وانك اشتريت إخلاصي .. لقد تقرر 'إعدامي' .

فهز 'كوبين' راسه وقال : ولهذا خطر لك أن تبحث عني وأن تذهب إليهم براسي حتى يصدر العفو عنك .. ولكن اعلم يا صاح اني اكبره أن أفن مجزا .. إني أحب أن يودع راسي وجسمي في قبر واحد .

فصاح 'بَابِيلُوسُ' متوسلا : قلت لك إنني لا أحاول أن أخدعك .. إنني أصارحك بالحقيقة .. إنني أريد أن أعقد صفقة معك .
فقال 'لوبيِن' هازئا : وبكم تشتري اللطمة التي أعطيتها لي بالأمس..؟

- الا تصدقني يا رجل ! قلت لك إنهم حكموا علي بالإعدام .. إنهم يعدون المدفع الآن لإطلاقه علي .. وانت الرجل الوحيد في العالم الذي يستطيع أن يثقفني منهم .. لقد لطمتك حقيقة بالأمس . ولكن الموقف إذ ذاك كان مختلفا .. ومع ذلك فالطمني الآن إذا شئت .. الطمني مائة مرة بل ألف مرة .. ولكن انقذني منهم .. إنني على استعداد لأن أساعدك يا 'لوبيِن' إذا نسيت ماحدث بالأمس . انس ماحدث واعف عني وانقذني منهم .. إن في وسعي أن أمدك بمعلومات خطيرة .. لا تقتلني ولكن اصغ إلي .. إنني أعلم أنك كنت تنتظرنني لتأخذني 'لنزهة' ولكن .. فقاطعه 'لوبيِن' بضحكة ساخرة أريغها بقوله :

- يظهر يا 'بَابِيلُوسُ' أنك مخبوع في نفسك .. أعتقد حقا أن 'لوبيِن' يمكن أن يهتم بشخص مثلك .. إنني أطا أمثالك من الديدان الحفيرة عرضا وأنا أسير في طريقي .. لقد كنت أعتقد أن هذه سيارة 'داتش' كيلمان' فاربت أن انتظره فيها ..

فصاح 'بَابِيلُوسُ' قائلا : إذن فانت تريد 'داتش' ؟ إنك في حاجة إلى 'داتش' أضعاف ما انت في حاجة إلي .. اتفقنا إذن .. سامهد لك السبيل إلى اقتناص 'داتش' .. سأنكر لك كل ما أعلمه عنه متى يخرج ؟ ومتى يدخل ؟ وأين يذهب ؟ بل إن في وسعي أن أساعدك على أن تقتنص كل رجل في العصابة .

واستمر 'بَابِيلُوسُ' في حديثه محاولا أن يقنع 'لوبيِن' بأنه صادق النية فيما يقول وهذا يابى أن يصدقه اعتقادا منه بأنها حيلة يعمد إليها 'اليوناني' لينقذ نفسه من حكم الإعدام الذي أصبره ضده 'لوبيِن' نفسه .

كان 'بَابِيلُوسُ' يعلم من أمثولة 'أريول' أنه مقتول لا محالة .. فلما رأى 'لوبيِن' خلفه ومسدسه مثبت في ظهره هداه ذهنه إلى هذه الخدعة فيلقي إلى 'لوبيِن' معلومات لا شأن لها حتى يخلي سبيله .

وصاح "بابيلوس" أخيرا وقد استولى عليه الياس :

- لا تقتلني .. ولكن اصغ إلي بضع دقائق .. سأقول لك كل ما أعلم
فإذا رأيت أنني كاذب فيما أقول فاقتلني كالكلب .

وقال "لويين" في صوت هادئ : إن المقبرة التي أنوي أن أدفنك فيها
لا تزال بعيدة فيمكنك أن تتكلم كما تشاء حتى تصل إلى بابها .

وتكلم "بابيلوس" فقال : إن العصابة لا تفوي أن تشتغل بخطف
الأطفال .. خطف الأطفال مهنة خطيرة ولاداعي لها .. إن عملنا في
المستقبل سيكون الحماية .. نقول لرجل مثل "أنسليم" : " ادفع مبلغ
كذا وإلا قتلنا طفلك .. " فإذا دفع تولينا حماية الطفلة وإذا أبى
قتلناها .. فهل تعتقد أن إعادتك "فيولا" إلى أبيها أية فائدة ؟ كلا .. إنه
سيضطر إلى مواصلة النفع و إلا قتلت .. لن نختطفها مرة أخرى لأن
للخطف مشاقه وأخطاره .. ولذلك كان أول ما فعلناه هذا الصباح أن
اتصلنا بتليفونيا "بأنسليم" وقلنا له : " ادفع المبلغ المطلوب وإلا لن
تكون لك طفلة ينقذها "لويين" . نعم .. فحتى من كان ملك لا يستطيع
أن يعيد الحياة إلى طفلة قتلت .

فابتسم "لويين" وقال :

- وهل تعتقد يا "بابيلوس" أن مثل هذه الحكاية النافذة كفيلة بأن
تجعلني أطلق سراحك ؟ يجب أن تفضي إلي بمعلومات أهم من هذه
فتقبضت يد "اليوناني" على عجلة القيادة وهتف قائلاً :

- سأخبرك بما تشاء .. سلني أجبك .

فقال "لويين" في صوت بارد :

- هناك سؤال واحد إذا أدليت إلي بجوابه عفوت عنك .

.. وما هذا السؤال ؟

- من يكون الرفيق الكبير؟

فصاح "بابيلوس" قائلاً لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال .

- حقا .. ولماذا ؟

- لأن الإجابة مستحيلة .. لو كنت أعلم لما ترددت .. ليس في
العصابة كلها من يعلم الجواب غير "الرفيق الكبير" نفسه بالتأكيد ..
والبنو لا يعرف . وكيلمان لا يعرف .. والتليفون هو الوسيلة

الوحيدة للاتصال به .. ولا يعرف رقم التليفون إلا شخص واحد .
 فقال "لوبيين" في صوت يدل على العطف :
 - وتكون سيء الحظ إذا لم تكن أنت هذا الشخص .
 فصاح "بابيلوس" قائلا :إني لست هذا الشخص .. ولكني سأخبرك
 باسمه .. إنه .. يا إلهي ! ما هذا !
 وانطلقت من فم "بابيلوس" صرخة تدل على الرعب والفرع !
 وأرسل "لوبيين" بصره إلى حيث كان صاحبه ينظر فرأى سيارة
 تنهب الأرض في نفس الاتجاه .. وكانت نافذتها مفتوحة .. ومن هذه
 النافذة تترأى للعين فوهة منفع رشاش !
 وأدرك "لوبيين" الخطر الداهم فأنبسط على وجهه في قاع السيارة
 وفي اللحظة التالية دوت الطلقات النارية وانهاهال على المقعد الأمامي
 سيل من النار .. !

* * *

أخذ زجاج السيارة يتناثر حول "لوبيين" ولكن لم تصبه رصاصة
 واحدة من ذلك السيل الجارف الذي كان ينطلق من فوهة المدفع
 الرشاش إذ كان المقعد الأمامي الذي يجلس عليه "بابيلوس" هو هدف
 المعتدين .

وسكنت عاصفة الموت .. وشعر "لوبيين" بأن السيارة أخذت تتلوى
 يمينا ويسارا .. ولم تكد تمضي لحظات حتى اصطدمت اصطداما
 عنيفا !

ولبث "لوبيين" في مكانه تحت الانقراض لا يتحرك وقد استولى عليه
 نهول خفيف سمع في خلاله صرخات امرأة وصوت صفارة البوليس
 وجلبة قوم ينادون ويصيحون .

وأدرك "لوبيين" أن الانتظار لا يتفق وخطته فتحامل على نفسه وأزاح
 انقراض السيارة وخرج من بينها فرأى حشداً من الناس قد هرع إلى
 المكان واحاط به إحاطة السوار بالمعصم .

وكان لا بد له أن يشق لنفسه طريقا .. وأن يبتعد عن هذا المكان
 بأسرع ما يمكن . ولكن نظرات الجمهور جعلت تنتهبه في فضول
 شديد فوضع يده على جيبه الخلفي وكانت هذه الحركة منه واضحة

المعنى فانفض الناس من امامه واوسعوا له طريقا يمر منه .
وانطلق "لوبيين" وهو يوسع الخطا إلى الشارع الجانبي وانعطف في
أول طريق لقيه ليضلل شهود الحادث إذا أراد احد منهم أن يرشد
رجال البوليس إلى الطريق الذي سلكه .

ومرت به سيارة استوقفها بإشارة من يده ووثب إلى داخلها دون أن
ينتظر وقوفها وصوب مسدسه إلى السائق وهو يقول :
- استمر في طريقك وأسرع !

واطاع السائق الأمر الذي صدر إليه من "لوبيين" .. أو من المسدس
بعبارة ادق.. وقال : الست انت "أرسين لوبيين" ؟
فدهش "لوبيين" وقال : وكيف عرفتني ؟

فأجاب السائق في لهجة تدل على الارتياح : لقد عرفتك من صورتك
التي نشرتها الصحف بالأمس .. وإني مسرور لأنك خرجت سليما من
هذه المعركة كما أنني مسرور لأنك أنقذت تلك الطفلة المسكينة .
فقال "لوبيين" : أما أنا فمسرور لأنني قابلتك .

واسترسل السائق قائلا : إني أكره "موري والينو" .. منذ بضع
سنوات كان يفرض إتاة على كل صاحب سيارة فمن أبى أن يدفعها
نفس سيارته ولكم أرهقني بهذه الإتاة .
ولما بلغ "لوبيين" المكان الذي ينشده قال للسائق :
- قف هنا .. وشكرا لك .

فقال السائق في ابتهاج : إني أحب أن أخدم رجلا مثلك .. فإذا
احتجت إلي يوما من الأيام فاتصل تليفونيا بمطعم "كولومبيا" ..
تليفون رقم ٩٤٧٨٩ ، إنني أتغدى هناك دائما .

وقفز "لوبيين" من السيارة بعد أن دس في يد السائق ورقة مالية من
فئة العشرين دولارا وهو يقول : إذا احتجت إليك فاستدعيك بالتأكيد .
ولكنه لم ير مايدعوه إلى الثقة المطلقة بهذا السائق فدخل محطة
السكة الحديدية القريبة من المكان وخرج من بابها الخلفي ثم دار
حولها ونهب إلى فندق "استوريا" عن طريق ملتو حتى يعتقد السائق
إنه كان ينوي السفر .

وقال "فالكروس" يسأله : لقد عدت مبكرا فما الذي حدث ؟

فاشعل "لوبيين" سيجارة وارتمى على المقعد وهو يقول :

- لاشيء .. وكل شيء .. لقد قتل رجل يدعى "بابيلوس" .. إن اسمه لم يكن مرجا في القائمة ولكن العصابة قتلته لأنها اعتقدت خطأ أنه خائنها .. فلما عرف أن حكم الإعدام صدر عليه أراد أن يقضي إلي بكل ما يعلم .. ولكن صوت المدفع الرشاش كان أعلى من صوته فاضطر إلى أن يسكت ليتكلم المدفع !

- إنك تجازف بحياتك يا "لوبيين" فيحسن بك أن تكون أكثر حذرا فقال "لوبيين" وهو يتنسم : كن مطمئنا يا "بيل" فأني لن أموت إلا بعد أن اقتنص "الرقيق الكبير" .. وبهذه المناسبة .. ألم تذكر لي أنك متكفل بجميع نفقات هذه اللعبة ؟

- بلى ذكرت .. فكم تريد ؟

وأخرج "فالكروس" من جيبه دفتر الشيكات ولكن "لوبيين" هز رأسه وقال :

- لا أريد مالا .. ولكن أريد سيارة .. سيارة صغيرة الحجم عظيمة السرعة فأني اعتقد مما سمعته من "بابيلوس" أن حادثا مهما سيقع عند بيت "انسلهيم" .. وقد تنفعني السيارة .

ولما أرخى الليل سدوله كانت السيارة الجديدة في انتظاره عند الباب فركبها وطار مسرعا إلى ميدان "ساتون" . ولكنه لم يقف عند بيت "اسكل انسلهيم" وإنما وقف على مسافة قريبة منه حتى لا يلتفت إليه الانتظار

لقد انبأه "بابيلوس" قبل أن يموت بأن العصابة انثرت "انسلهيم" تليفونيا في صباح ذلك اليوم بأن طفله ستقتل إن لم يدفع الفدية المطلوبة .

ولاشك أن الأب الحنون لا يريد أن تقتل طفله .. وكان "لوبيين" متلهفا إلى أن يشهد الطريقة التي سيتم بها الدفع ونزل "لوبيين" من سيارته ومشى يتسكع على الإفريز وعيناه على باب البيت الذي يقطنه والد "فيولا" .

ولمخ رجلا متواريا في الظلام على مقربة من الدار فقال في نفسه ؟ - يظهران العصابة رصت أحد رجالها لمراقبة الأب الحنون وفتح

باب البيت وخرج منه رجل يحمل تحت إبطه لفافة كبيرة من الورق .
وسقط ضوء المصباح على وجه الرجل فعرف " لوبين " أنه هو بعينه
" انسلهيم "

فهز رأسه وقال : ليت شعري أي شيء في هذه اللفافة ؟ إن فيها
فيما اعتقد رزما من الأوراق المالية .. لقد قرر " انسلهيم " أن يدفع .
ولكنني لن أجعله يدفع !

وبنا " انسلهيم " من الرجل المتوارى في الظلام على مقربة من البيت
ولكنه لم يتأوله اللفافة وإنما تحدث إليه هنيهة ثم صعد إلى سيارته
واللفافة لا تزال تحت إبطه .

فادرك " لوبين " أن هذا الرجل ليس من العصاة وأنه على العكس من
ذلك : شرطي سري أقامه " انسلهيم " عند الباب ليسهر على حماية
الطفلة المحبوبة وانطلقت سيارة " انسلهيم " تنهب الأرض
وكانت هناك سيارة أخرى منطلقة في إثرها وفيها " ارسين لوبين " !
* * *

ظلت السيارتان تطويان الطرق في نفس الاتجاه حتى بلغتا ضواحي
المدينة . فرأى " لوبين " من الحكمة أن يطفى أنوار سيارته حتى لا يلتفت
إليه أنظار " انسلهيم " . فليس هناك ما يثير الفضول إذا اتخذت
سيارتان طريقا واحدا في قلب المدينة العامر بالمركبات الرائحة الغابية
ولكن هناك ما يثير كل الفضول إذا استمرت هذه المطاردة خارج
المدينة في الشوارع غير المطروقة

واستمرت هذه المطاردة فترة طويلة من الوقت .

وعلى حين بغتة توقف " لوبين " سيارته إذ رأى أن سيارة " انسلهيم "
قد وقفت على قيد ثلاثين ياردة منه .

ولم ينزل " انسلهيم " من سيارته ولكن " لوبين " رأى على الأشعة
المنبعثة من مصابيحها جسما أسود اللون يخرج من النافذة ويطير
في الهواء ثم يستقر على الأرض في صوت سمعه " لوبين " في هذا
السكون الذي يشمل الأرض .

وعرف على الفور أن هذا الشيء ليس إلا اللفافة التي فيها الخبيرة .
وقفز " لوبين " من سيارته وانطلق صوب المكان الذي سقطت فيه

اللفافة في الوقت الذي تابعت فيه سياره " انسلهيم" طريقها .
ولم يذب " لوبين" إلى اللفافة بل توارى خلف إحدى الأشجار مكتفيا
بالنظر إليها وهي في موضعها تغمرها اشعة القمر .

وبعد دقائق سمع " لوبين" خشخشة الشجيرات القريبة من اللفافة ..
ثم أزيحت الأغصان وبرز من بينها رأس رجل تبعه كتفان ١..
وامتدت يد الرجل لتلتقط اللفافة .. وقبل أن يلمسها كان " لوبين" قد
أخذ بخناق الرجل وهو يقول في صوت لطيف :

- أهذا أنت يا عزيزي "هيمي فيلدر" ؟.. إنني سعيد بلقائك !
وحملق الرجل في وجه " لوبين" ولقد عقلت المفاجأة لسانه وجعلت
اللون يفيض من وجهه .. ففتح فمه دون أن يتكلم !
فقال له " لوبين" مازحا :

- إنني لست عفريتاً .. ولكن اسمح لي أن أحمل عنك هذه اللفافة .
والتقط اللفافة مسرعاً دون أن يتصدى "هيمي فيلدر" لمنعه .. وحين
ملك صوته كانت الكلمة الوحيدة التي نطقها هي قوله : مجنون !
وتابط " لوبين" اللفافة وهو يقول :

- الآن وداعاً أيها الصديق العزيز ..
وقبل أن يتحول لينصرف سمع خفق نعل على قيد خطوات منه ..
والتمعت عيناً " فيلدر" ببريق الأمل فابتسم " لوبين" وهمس في ذاته
قائلاً :

- كلا يا صديقي .
وارتفع صوت القائم قائلاً
- هل عثرت عليها ؟
وتولى " لوبين" الإجابة :

- كلا يا صاح .. إن "هيمي" لم يعثر عليها .. ولكني أنا الذي عثرت
عليها .. فأرفع يديك فوق رأسك وإلا ..

وقبل أن يتم " لوبين" جملة نوى طلق ناري وأصابته الرصاصة
الشجرة التي كان " لوبين" واقفاً عندها ١..

وضاقت عيناً " لوبين" وضغط زناد مسدسه ١..
لم يكن في نيته أن يقتل الرجل لأنه ما كان ليحفل بالحشرات

الحقيرة ولهذا إكتفى بان سدد المكنوف إلى المسدس الذي يحمله الرجل.

وطار المسدس من يده ولكنه لم يرض بالهزيمة فوثب يريد الانقصاص على "لوبيين".

وتلقاه "لوبيين" بان ضغط الزناد مرة أخرى . ولكن الرصاصة لم تنطلق لأنها كانت رصاصة فارغة !

وقبل أن يضغط "لوبيين" الزناد للمرة الثالثة كان الرجل قد وصل إليه واشتبك معه في عراك عنيف .

وكان الرجل ضخم الجسم كانه عملاق جبار . فكان ثقل وزنه من العوامل التي ضايقت "لوبيين" على الرغم من براعته في فن المصارعة وحذقه الاساليب اليابانية .

ودام النضال طويلا واخذ الرجلان يتحرجان على الأرض وكل منهما يحاول ان يشد يقبضته على عنق غريمه .

واخيرا الفى "لوبيين" نفسه طريحا على الأرض والرجل جاثم فوق صدره وقد أمسك بعنقه محاولا أن يخنقه .

وهتف الرجل قائلا : لقد نلت يا "هيمي" .. لقد نلت .. !!

ولكن "لوبيين" لم يكن من الطراز الذي ينال بمثل هذه السهولة . فرفع يده التي كانت لا تزال ممسكة بالمسدس وضرب الرجل على صلته بمقبضه ضربة جمع فيها كل قوته .

وتراخت يدا الرجل عن عنقه فدفعه "لوبيين" عن صدره فتخرج وسقط على الأرض ..

ورأى "هيمي فيلبر" ان الواجب يقضى عليه بان يتدخل فاراد ان يثب بدوره على "لوبيين" ولكن هذا لكمة في فكه لكمة ألقتة على الأرض غائبا عن الوعي .

ونفض "لوبيين" واقفا ونفض ثيابه ثم حمل اللغافة التي تحتوي على الأوراق المالية .

وبعد لحظات كان منطلقا بسيارته راجعا إلى المدينة وقد خلف وراءه المقاتلين الجسورين راكبين على الأرض مستغرقين في النوم الهنيء .

الفصل السادس

يظهر انه لا ضرورة لأن نقول إن مستر "اسكل انسلهيم" كان يهوديا . وهو رجل بدين الجسم اسود الشعر له عينان ضيقتان تزادان ضيقا إذا ما استولى عليه الخوف . وله ابتسامة لطيفة جذابة وانف شديد التقوس من المؤكد انه كان السبب الاول الذي حمل هتلر على طرد اليهود من المانيا . وبهذا لا يستطيع احد من النازي أن يعتقد انه يمكن أن يكون رجلا شريفا رحيم القلب وأنه جمع ثروته بوسائل مستقيمة غير ملتوية .

وكان "انسلهيم" جالسا إلى مكتبه تلوح على محياه امارات الإعياء ونور المصباح يسقط على وجهه ليبرز للعين شدة امتقاعه وكانت يداه موضوعتين على المكتب ولكن لو أنك تأملتكما قليلا لرأيت فيهما رجفة خفيفة وكانت تحت عينيهِ خطوط زرقاء تدل على أنه كابد في الأيام الأخيرة متاعب تمرق القلب .

وفي الطابق الأعلى كانت طفلة "فيولا" راقدة في فراشها غارقة في النوم الهنيء لا يشغل ذهنها غير أحلام الطفولة العذبة .

ومن أجل هذه الطفلة رضي اليهودي بأن يدفع الفدية المطلوبة . حقيقة قد أعاد إليه "فيولا" ذلك الشيطان المسمى "أرسين لوبين" دون أن يتقاضاه اجرا عن إنقاذها .. ولكن "انسلهيم" كان يعلم أنه لا بد أن يدفع الأجر .. للعصابة وليس "للوبين" .. حتى يكون مطمئنا إلى سلامة الطفلة .

وكان "انسلهيم" لا يجهل أن طفلة لم تخطف لأن في النية الفتك بها وإنما أريد من خطفها أن يكون نذيرا يحمله على الدفع ولقد اتصلت به العصابة في صباح ذلك اليوم وأمرته بأن يدفع وإلا قتلت ابنته .

وكان هذا الإنذار هو السبب في تلك الرحلة التي قام بها إلى ضواحي المدينة حين ألقى لغافة الأوراق المالية من نافذة السيارة في المكان المتفق عليه دون أن يدري بأن "لوبين" خلفه يرقبه ويرصد حركاته .

وكان " انسلهيم " وهو جالس إلى مكتبه يسائل نفسه عن السبب الذي يجعل مدينة عظيمة كنيويورك ... مدينة اجتمعت لها كل أسباب الثراء والرفاهية والقوة .. ما السبب الذي يجعل هذه المدينة واقعة في قبضة عصابة دموية لا هم لها إلا ابتزاز المال والفك بالابرياء دون ما رحمة أو شفقة .. ما السبب الذي يجعل البوليس عاجزا مكتوف اليدين امام هذه الذكبات المتتالية ؟

ولكنه لم يكن في حاجة إلى أن يسمع جوابا من احد. لانه كان يعرف الجواب كما تعرفه " امريكا " بأسرها .. لو أن القضاة كانوا شرفاء. ولو أن رجال البوليس كانوا غير مرتشين "مسحت" هذه العصابات مسحا تاما منذ زمن طويل ... ولكن كيف السبيل إلى القضاء عليها والإرهاب ناشر جناحيه على المدينة .. والحكم للمدفع الرشاش .
وحين طافت هذه الخواطر بذهنه استولى عليه الغضب ... لا لانه كان يأسف لأن المدينة في قبضة العصابات وإنما لانه كان يعلم أن المال الذي ينفقه لن يرد إليه .

وفي هذه اللحظة سرت في اوصاله رعدة فجائية .. لم تكن ناشئة عن الخواطر التي توارت على ذهنه وإنما كان مبعثها تلك الحركة الخفيفة التي تابرت إلى أذنه .

كانت نافذة المكتب مفتوحة .. وعندها وقف " ارسين لوبين " يرقب اليهودي بعينيه المرحتين اللتين تنبعث منهما سخرية مرة .
وعندما تكلم كان صوته أشد سخرية من عينيه .. كان وقع نبراته في الآن اشبه بصليل السيوف .

ولقد مرت به لحظات وهو في مكانه هذا يتابع تلك الخواطر التي تصطبخ في دماغ اليهودي .

وتكلم " لوبين " قائلا : كيف حالك يا " انسلهيم " ؟

ولم يكد اليهودي يسمع هذا الصوت حتى تبدد ما كان يشعر به من الغضب والنقمة. ولم يعد يفهم او يدرك إلا شيئا واحدا هو أن طفله المحبوبة راقدة في فراشها وليس هناك من يحميها من الموت الذي يترصدها .

وحملق " انسلهيم " في وجه " لوبين " بعينين ينبعث منهما الرعب

ورفع يديه إلى رأسه بشد شعره كأنه مجنون فقد الوعي .

ثم صرخ قائلاً في نوبة عصبية :

- لقد دفعت .! لقد دفعت .! فماذا تريد ؟! لماذا لا تتركني في سلام ؟

وجلس "لويين" على حافة النافذة وقال مجيباً :

- كلا .. إنك لم تدفع أيها الأخ .

فصرخ اليهودي للمرة الثانية قائلاً : أقسم أنني دفعت !

واكبسه الرعب شجاعة وبلاغة فاسترسل قائلاً :

- لقد دفعت .. دفعت هذه الليلة .. كما نبيت علي .. لا شك أنه حدثت

غلطة .. ولكنها ليست غلطتي .. أقسم لك أنني دفعت !

ومد "لويين" يديه في جيوبه فكان يغمى على المسكين اعتقاداً منه أن

عدوه سيخرج مسدسه .

ولكن "لويين" أخذ يخرج من جيوبه رزماً من الأوراق المالية ويلقي

بها على المكتب تحت عيني اليهودي !

وكان "انسلهيم" يتابع بعينه كل رزمة يلقيها "لويين" وهي تطير

من يده وتستقر على المكتب دون أن ينطق بكلمة واحدة لأن كان في

ذهوله أشبه بالصبي الذي يرى ساحراً يخرج من أذنه اليسرى فأراً

ومن أذنه اليمنى أرنباً .

وتكلم "لويين" في لهجة مرحة فقال : هذا هو مالك يا "اسكل" ...

تسعون ألف دولار. فقد حجزت لنفسى عشرة آلاف بمثابة عمولة

تحصيل بنسبة عشرة في المائة .. وهكذا ترى أنك لم تدفع .

وحملق "انسلهيم" في رزم الأوراق المكسدة على مكتبه وقد استولى

عليه رعب جديد. ولكنه لم يحاول أن يلمسها كان في ملمسها الموت !

ولما تما لك روعه صاح قائلاً : من أين جئت بهذه الرزم ؟

فقال "لويين" مفسراً :

- يظهر أنها سقطت منك أثناء سيرك ولكنني كنت وراك لحسن

الحظ فالتقطتها .. ولا أحسب أن دخولي من النافذة قد ساءك وأرجوك

أن تعذرني في ذلك فأني مولى باستعمال سلام الحريق .

وساد الصمت برهة ثم استرسل "لويين" قائلاً :

- إنني رجل شريف فلم يخطر لي على بال أن استولى على مالك ..

ولكن الشيء الذي يدهشني هو تلك الطريقة الشاذة التي تبذر بها ثروتك فإنني مهما كنت واسع الثراء فلن أفكر في يوم من الأيام أن أنثر الأوراق المالية في الطريق ذات اليمين وذات الشمال .

فازبرد " أنسلهيم" ريقه وقال : هل تقصد أن تقول إنك التقطت هذه الأوراق من المكان الذي رميتها أنا فيه ؟
فأحنى " لوبين" رأسه وقال :

- هذا هو ما أردت أن أقنعك به منذ ساعة .. ولكن يظهر أن حظي قليل من الفصاحة وحسن البيان . فعنما رايتك ترمي هذه الرزمة إلى الأرض قلت في نفسي : لاشك أن هذا الرجل مجنون
فأنفجر " أنسلهيم" قائلا :

- بل أنت المجنون ! إنك بهذا العمل قد قتلتنى .. قتلت ابنتي .
وكان صوته متهدجا مختنقا : إذا لم يصل هذا المال إليهم قتلوا ابنتي .

فتقدم " لوبين" إلى وسط الغرفة وجلس على حافة المقعد وهو يقول :
- حقا .. !

فصاح الرجل مزجراً : يا إلهي .. لماذا خطر لك أن تتدخل .. ؟ آية أهمية عندك للأمر .. من أنت .. ؟

فابتسم " لوبين" وقال : إنني الرجل الذي أعاد إليك ابنتك .
فهب " أنسلهيم" واقفا وصاح قائلا : " أرسين لوبين" .. !

فأحنى " لوبين" رأسه وتناول سيجارا من الصندوق الموضوع على المكتب فاشعله وهو يقول : أصبت .. إنني " لوبين" .. ولعلك قد فهمت الآن السبب الذي جعلني أفضل أن أستعمل سلم الحريق .. إنك مدين لي بحياة طفلك فإذا كان لديك مال كثير تريد أن تتخلص منه بهذه الطريقة الشاذة فلا مانع عندي مطلقا من أن تقذفه إلى جيبتي بدلا من أن تقذفه على الأرض .

وساد الصمت برهة وأخيرا تكلم " أنسلهيم" فقال : إني أسف لمسلكي معك .. إني لن أنسى صنيعك مدى الحياة .. ولكن إذا أردت أن تساعدني فأخرج وعني وحدي .. إني أريد أن أدخل إلى نفسي لأفكر ..
يجب أن لا يراك أحد هنا .. إن عرفوا أنك كنت هنا قتلونا نحن الاثنين

فقال "لوبيين" في صوت هادئ : كلا . ليس الاثنان .. !
وساد صمت طويل جعل "لوبيين" في خلاله ينظر إلى اليهودي كأنه
يريد أن يفحت له تمثالا .

وقال "انسلهيم" متسائلا : لماذا جئت لزيارتي الآن ؟
ونفث "لوبيين" من فمه حلقة كبيرة من الدخان وقال : جئت لأعيد إليك
هذه الأوراق ولأخذ سيجارا من سجائرك الفاخرة .. ولأشرب ذلك
الكاس من الشراب الذي يلوح لى أن ليس في نيتك تقويمه إليّ ..
وأخيرا لأرى إذا كان في وسعك أن تساعني .
- وكيف أساعدك .. ؟ أتريد مالا .. ؟

فهنّ "لوبيين" رأسه وأرسل بصره إلى رزم الأوراق المالية المكسدة على
المكتب وقال :

- لو انني كنت أريد مالا لما جئت إليك .. فقد كان المال في جيبتي كما
ترى .. وفضلا عن هذا فإن لي صديقا من اصحاب الملايين وضع
خزائنه تحت تصرفي وهي لم تفرغ بعد .. كلا .. إنني لا أريد منك مالا
وإنما أريد ثقتك ومعلوماتك .. خبرني بما تعلم .

فهنّ "انسلهيم" رأسه في حركة ميكانيكية وقال : لن أخبرك بشيء .
فنظر "لوبيين" في ساعته وتمتم قائلا : لماذا هذا التسرع يحسن بك
أن تقرئ .

وساد الصمت هنيهة ثم استرسل "لوبيين" قائلا : من الجائز جداً
يا "انسلهيم" أن ترجع عن رأيك .. والرجوع عن الرأي دليل على أن المرء
حر في تفكيره وأن له عقلا . وأنه يستعمل هذا العقل .. وإنني أعرف
بالتأكيد أن لك عقلا وأنتك تحب أن تستعمله .

وكان "لوبيين" يتكلم في بساطة ليس فيها شيء من التهديد أو
الوعيد . ولكن "انسلهيم" لم يكن من الغباوة بحيث يغفل عن أن هذه
البساطة هي شعار "لوبيين" وأنه حين يتكلم بمثل هذه الطريقة يكون
خطرا رهيبا .. فلو أن مسدسا كان مصوبيا إليه لما كان أشد وقعا في
نفسه من هذه الكلمات الناعمة اللينة .

ولما سكّت "لوبيين" تكلم "انسلهيم" فقال في صوت مرتعد :

- وعن أي شيء تريد أن تسألني .. ؟

فنظر إليه "كوبين" وكانت نظراته مجرّبة عن الزهو أو الانتصار ..
وقال :

- حدثني بكل ما تعلم .

فقال "انسلهيم" معترضا :

- ولكذك تعلم من الأمر مثلما أعلم أنا .. لقد اختطفوا فيولا لاني
أبيت أن أدفع ثمن الحماية .

فقال كوبين مرربدا : ثمن الحماية .. إني أعلم ذلك فاستمر .

- ولكذك لا تعلم بالثاكيد أن إنقاذك "فيولا" لن يجدي علي شيئا فإذا
أبيت أن أدفع قتلوها .

- ولكن من الذين سيقتلونها ؟

- لا أنري .. لست أعرفهم

فهز كوبين رأسه وقال :

- هذا جائز بالثاكيد .. ولكن لحبك على الأقل فكرة عنهم .. ما الطريقة
التي يتصلون بك بواسطتها ؟ التليفون .. اليس كذلك ؟ . ولكن هب
مداعبا ثقيلأ هو الذي هددك .. كيف عرفت أن التهديد جدي ؟ هل إذا
جاءك رجل من عرض الطريق وأمرك بأن تدفع فهل كنت ترضى بأن
تدفع ؟ إن مجرد التهديد لا يكفي لحملك على الخضوع .. فلا بد أن
هناك أمرا معينا جعلك تعتقد أن العصا جاة فيما تقول .. وهذا هو
ما أريد أن أعرفه .

ونفض "انسلهيم" واقفا وجعل يتمشى في أرجاء الغرفة وقد لاحظت
على وجهه إمارات الاضطراب .

وجعل كوبين يرقبه وهو يعلم بتلك العاصفة التي تصطبب في
صدره . هذا النضال الرهيب بين الخوف والجرأة .. إنه يريد أن يتكلم
ولكنه خائف .

وكان "انسلهيم" قد بلغ في سيره جدار الغرفة فارتفعت يده في سرعة
البرق وضغطت زرا في الجدار ثم تحول إلى "كوبين" وقال في لهجة تدل
على الانتصار : والآن هيا اخرج .. ! هذا الجرس متصل بأحد رجال
البوليس السري الذين استأجرتهم لحراستي .. إني لا أريد أن أنزل بك
أذى لاني مدين لك بكل شيء .. ولكني لا أستطيع أن أتكلم .. لأن كلمة

واحدة تخرج من شفتي معناها الموت .. موتي وموت "قيولا" ..
 فقال "كوبين" في صوت رقيق : إني لا أَرْضَى لك ذلك بالتأكيد .
 ومشى إلى النافذة فتخطى حافتها ووقف على سلم الحريق وقال :
 - إني مازلت في انتظار معلوماتك .. وسنلتقي في يوم آخر فهز
 اليهودي رأسه وقال : محال أن اتكلم .. ! فرماه "كوبين" بنظرة إزراء
 وقال :

- إنك ستكلم في مرة أخرى 1

ثم أخذ يهبط السلم وما لبث أن ابتلعه الظلام .
 والواقع أن هذه الزيارة لم تسفر عن أية نتيجة فما خرج منها
 "كوبين" بشيء جديد .. كان في وسعه على الأقل أن يظفر بالتسعين ألف
 دولار . ولكنه أبى إلا أن يعيدها إلى صاحبها شأن الرجال الشرفاء .
 وأخذ يلعن نفسه لقلّة احتياطه إذ مكن "انسلهيم" من أن يستدعي
 الحارس .. ولكنه سيكون أكثر حذرا في المرة القادمة وسيعرف كيف
 ينتزع الكلام من هذا اليهودي الماكر .
 ويظهر أن "كوبين" كان منهمكا في هذه الخواطر وهو ينزل السلم فلم
 ينتبه إلى الخطر الذي كان في انتظاره .
 فما استقرت قدماء على الأرض حتى شعر بجسم صلب يضغط
 ظهره وسمع صوتا يقول :

- تعال معنا أيها الصديق لنذهب بك إلى "نزهة" صغيرة 1

* * *

لم تبد على وجه "كوبين" ذرة من القلق أو الانزعاج وهو يجتاز عتبة
 الغرفة الداخلية في حانة "شارلي"
 ومضى يتصفح وجوه الحاضرين كأنما يذفرج على تماثيل
 مرصوفة في أحد المعارض . والحق أن وجوه هؤلاء الرجال كانت
 جديرة بالتأمل لأن فيها أصنق تعبير عن روح الشر والجريمة . وكذلك
 مضى الرجال ينظرون إليه متفرسين ليروا عن كذب وجه هذا الرجل
 الذي جاء إلى تلك البلاد ليتحدى الحديد والنار .
 وكان "كوبين" مجرداً من السلاح إذ فتشه أداؤه وأحسنوا تفتيشه
 في هذه المرة فانزعوا حتى تلك المديّة المشدودة إلى ذراعه والتي غفلوا

عنها في المرة الأولى. بل لقد بلغ من ريبتهم أنهم جربوه من علبة سجائره ومن مبرائه ومن القلم للرصاص اعتقاداً منهم أن هذا الشيطان قد يحيل حتى مثل هذه الأشياء إلى أسلحة يتوسل بها إلى النجاة .

ولو أن رجلاً غير "كوبين" جرد من أسلحته بمثل هذه الدقة لاستولى عليه الانزعاج .. ولكن "كوبين" على العكس من ذلك كان مبتهجا مسرورا إذ رأى في هذه العناية خير دليل على أن له في نفوس هؤلاء القوم مكانة عظيمة لقد ظل يبتسم .. وظلت عيناه ترسلان هذا الوميض الساخر الهادئ الذي يثير الأعصاب ويهيج النفوس .

وتمتم "كوبين" وهو يدير عينيه في الحاضرين : مرحبا بكم أيها الإخوان .. ! صدقوني إنني كنت شديد اللهفة إلى لقاءكم .. وليت شعري أي نوع من الاستقبال أعدتم لي الليلة .. ؟

وكان "هيمي فيلر" بين الحاضرين وقد شد إلى رأسه بعض الضمادات والأربطة كتحية يقدمها إلى المعركة التي جرت في الليلة الماضية .

ومال "فيلر" إلى "كيلمان" وقال : إنه مجنون .. هذا الرجل مجنون .. ! وكان "كيلمان" جالسا على مقعده كأنه صخرة لا يتحرك وعيناه مثبتتان على "كوبين" ينظر إليه من قمه إلى رأسه .

ولكن "كوبين" لم يكن مهتما "بكيلمان" أو بهيمي فيلر" أو بأحد من هؤلاء الطغام وإنما كان بصره عالقاً بتلك الفتاة الجذابة "فاي ادوارس"

وكان غريبا ذلك الأثر العميق الذي تتركه هذه الفتاة في نفسه كلما عبرت طريقها .

إنه لم يكن يعرف عنها شيئا حتى الآن .. لقد سمع صوتها في التليفون وهي تتحدث إلى القاضي "ناثير" .. أو خيل إليه أنه سمع صوتها لأنها لم تكن قد تكلمت حتى هذه اللحظة ليتحقق من أنها هي بعينها صاحبة تلك الصوت الموسيقي العذب .

لقد رآها في مقر العصاية في الليلة التي استعاد فيها "فيولا انسلهيم" ولكنها ظلت صامتة لا تنطق بكلمة واحدة .. وحين دفعت

المسدس إلى يده لبثت مطبقة الفم أيضا .. ولكنه على الرغم من صمتها .. وعلى الرغم من أنه لم يسمع أحدا يذكر اسمها كان موقنا أنها لا بد أن تكون "فاي انواريس" التي هم "فرسالك" بأن يحبته عنها . وكان وجهها هو الوجه الوحيد في هذه الغرفة الذي يذكر المرء بأن في الدنيا جمالا رائعا .. ! وكان "لوبيين" سعيدا وهو ينظر إليها .. ! فعلى الرغم من المسدسات المصوبة إليه .. وعلى الرغم من الخطر الذي يترصده .. وعلى الرغم من يقينه بأنه وشيك بأن يقتل - كان سعيدا وهو يتأمل في وجهها هذا الحسن الفتان .. ! وكان هناك سؤال يتردد في ذهنه نون أن يدري له جوابا : لقد أعانته وهو في شنته .. وزوبته بالمسدس .. فلماذا ؟ لماذا فعلت هذا .. ؟

أي سبب حملها على إنقاذها .. ؟ هذا هو السؤال الذي أعياه جوابه . كانت جالسة على مقعدها جامدة الوجه كأنها تعيش في غير هذه الدنيا ولا تدري بما يجري حولها . حين نخل الغرفة استقر بصره عليها . وقد خيل إليه أنه رأى في عينيها وميضاً غريباً .. ولكن هذا الوميض مالبث أن اختفى بمثل السرعة التي ظهر بها .. وارتدت "فاي انواريس" كما كانت جامدة كأنها قطعة من الصخر .

ولتفت إليها "داتش كيلمان" وقال : هذا هو "أرسين لوبيين" .. ! فقالت الفتاة وعيناها مسمرتان على "لوبيين" - نعم إنه الرجل الذي قتل "موري والينو" . ولأول مرة سمع "لوبيين" صوتها .. وكان هو نفس الصوت الموسيقي العذب .. ! فسرت في أوصاله نفس النشوة اللذيذة التي شعر بها حين سمع صوتها في التليفون .

وقال "لوبيين" يخاطبها : طاب مساءك يا "فاي" . واطالت الفتاة نظرتها إليه ثم تناولت سيجارة من حقيبتها فاشعلتها وعلى الضوء المنبعث من عود الكبريت رأى "لوبيين" في عينيها ذلك الوميض الخاطف الذي رآه عند دخوله الغرفة منذ دقائق ولكنه لم يصدق عينيه وخيل إليه أنه إنما رأى هذا الوميض بعين

الوهم والخيال .

وأما كيلمان براسه إلى أحد رجاله . فمشى الرجل إلى باب في الغرفة غير الباب الذي دخل منه "لوبيين" ففتحه وهو يقول : تفضلا . فدخل الغرفة رجلان .

كان أحدهما طويل القامة عريض المنكبين كأنه عملاق جبار يعلو عينيه حاجبان كثيفان . أما الثاني فكان على النقيض من صاحبه ضئيل الجسم أصلع الرأس ذا شارب صغير محفوف . فجعل "لوبيين" يتأملهما ويقارن بينهما وهو يبتسم مبتهجا وقد استولت عليه رغبة ملحة في أن ينزع حاجب العملاق الكثيف ليصلقه في الموضع اللائق به تحت أنف الرجل الضئيل ليجعله شاربيا له .. !

وعرف "لوبيين" الرجلين بمجرد النظرة الأولى . فالعملاق هو مستر "زويرت اركريد" زعيم تلك الجماعة السياسية التي تتولى القيام بالعمليات الإرهابية لمصلحة بعض المرشحين مستعينة بالعصابات . أما الرجل الضئيل فكان مستر "ماركوس بيلد" النائب العمومي لمدينة "نيويورك" !

ويظهر أن الرجل الضئيل كان يعرف من تاريخ "لوبيين" ما يجعله يقف متباعدا في ركن الغرفة دون أن يجرؤ على الدنو من "السيطان" بالرغم من المسببات التي كانت جدية بأن تحميه من أي خطر يتهده وكانت نظراته حافلة بالخوف فلم يملك "لوبيين" نفسه وهو ينظر إلى جسمه الضئيل من أن يقول له : يخ .. !

وكما كان يتوقع "لوبيين" ارتعد الرجل خوفا .

وقال "اركريد" يخاطب "لوبيين" : إذن فانت الرجل الذي كنا نبحث عنه

- نعم إنني هذا الرجل يا "اركريد" فحملق فيه العملاق وقال :

- وكيف عرفت اسمي .. ؟

- من صورة لك رايتها في إحدى المجلات .

وجعل "اركريد" يصعد "لوبيين" بنظراته ثم قال :

- إنني أرى ألا فائدة في اللف والدوران .. ولذلك سأخاطبك في

صراحة تامة .. لقد سببت لنا متاعب كثيرة .. ولعلك تعرف أن جرائم

القتل التي ارتكبتها كفيلة بأن ترسلك إلى الكرسي الكهربائي

فقال "لوبيين" مجيبا : الواقع اني لم اكن اعرف هذا . فعندما حضرت إلى هذه البلاد كنت اعتقد انه لاداعي لأن يحصل الإنسان على ترخيص لكي يباح له قتل الناس .

فقال "اركريد" في لهجة تهديبية :

- إن الكرسي الكهربائي مصير كل مخبول يحضر إلى هذه البلاد وهو يعتقد ان في وسعه ان ينتظفها .. وانت تعلم بالتأكيد ما ينبغي ان افعله الآن

فقال "لوبيين" مصححا : بل اعلم ما "كان" ينبغي لك ان تفعله .. إن الواجب يقضي عليك بصفك رجلا شريفا ومن انصار القانون والنظام ان تستدعي شرطيا وتسلمني له .. ولكنك لن تجرب على هذا لأن الناس قد يسألونك عن السبب الذي أتى بك إلى هذا المكان .

وساد الصمت هذبة واشعل "اركريد" سيجارا ضخما جذب منه بضعة أنفاس ثم قال : ليس في نيتي ان استدعي شرطيا .. لسبب واحد هو انك لاتزال في مقتبل العمر ومما يؤسف له ان يموت من كان مثلك وهو غض الشباب .. إنك تكره بالتأكيد ان ترسل إلى الكرسي الكهربائي او تؤخذ إلى "نزهة" صغيرة ليس كذلك ؟

ولبت "لوبيين" صامتا لايتكلم فاسترسل "اركريد" قائلا :

- لو انك أتيت لمقابلتي بمجرد قدومك إلى هذه البلاد لأمكنني ان اسدي إليك خدمة كبيرة .. إن هذه الأعمال التي تشغل نفسك بها الآن تتعبنا وتتعبك .. إننا لسنا نأقمن عليك لقتلك "أريول" فقد كان غير ذي شأن في العصابة .. ولسنا نأقمن عليك لقتلك "والينو" فقد بدا ينتفخ ويكبر في الأيام الأخيرة وكان في نيتنا ان نتخلص منه لو انك لم تقتله .. ولكنك لاتزال ماضيا في طريقك وأخشى ان تمتد يدك إلى قوم نحرص على بقائهم .. لقد وعدنا الجمهور بان نقر الأمن والنظام .. وبصفتي رئيسا لجمعية "تاماني" التي تقوم بالدعاية الانتخابية أرى من واجبي أن اضع حدا لنشاطك .. وهذا مستر "بيلد" يؤيدني فيما أقول

فكلم النائب العمومي للمرة الأولى في صوت محتشرج فقال :

- بالتأكيد .. يجب أن اضع حدا لنشاطك .. يجب القضاء على هذه

الحركات التي لا داعي لها

واسترسل "اركريد" قائلا : لقد تعهدنا للمرشحين بإقصادك من الميدان وأنا رجل أحب أن أبر بتعهداتي .. ولكننا رأينا الآن نشد في معاملتك ولذلك قلت لصديقي "بيلد" إن "كوبين" رجل عاقل فلماذا لا نتقدم إليه بعرض معقول ؟

وكان الأمر من الواضح بحيث لا يحتاج إلى كل هذه البلاغة الفياضة التي عمد إليها رئيس جماعة الدعاية الانتخابية .. كانت هذه الجماعة تعتمد في نصرة مرشحها على الحملات الإرهابية التي تقوم بها العصابات لمصلحة هؤلاء المرشحين .. فإذا جاء "كوبين" وقضى على هذه العصابات فقد قضى ضمنا على جمعية "تاماني"

وساد الصمت هنيهة ثم استرسل "اركريد" قائلا في لهجة تمثيلية :
- أما هذا العرض فهو ربع مليون دولار .. ألا ترى أننا كرماء اسخياء ؟ إننا نعرض عليك ربع مليون دولار لكي تغادر هذه البلاد راجعا إلى "انجلترا" أو أي بلد تشاء فما رأيك ؟

فقال "كوبين" يسأله : واية خدمة تبغون مني لقاء هذا الثمن ؟

فجذب "اركريد" نفسا طويلا من سيجاره الضخم ثم قال :

- إننا لا نبغي منك شيئا .. كل ما ننشد إنما هو إيقافك عند حنك . لا نريد منك أن تتدخل في شؤون هذه المدينة .. ولكنك تعلم مؤكدا الأ فائدة هناك على الإطلاق إذا سافرت أنت وبقي أنابك وأعوانك ماضين على نفس الخطة .. ولهذا نريد منك أيضا أن ترشدنا إلى رجال عصاباتك لنتفق معهم كما اتفقنا معك .. ألسنت ترى معي أنها صفقة رابحة ؟

فقال "كوبين" مجيبا : إنها صفقة رابحة لك .. خاسرة لي

فصاح "هيمي فيلدر" : إنه مجنون ! ألم أقل لكم إنه مجنون !

فدار "اركريد" على عقبيه وصاح "بفيلدر" قائلا :

اصمت أيها الغبي وإياك أن تتكلم

ثم تحول ثانية إلى "كوبين" وقال في صوته الهادئ :

- اصغ إلي .. إنني لا أحاول أن أخدعك .. سننقذك ربع المليون دولار لكي تغادر هذه البلاد .. إنني أهين لك فرصة ما كنت لتحلم بها فكيف

ترفض هذا العرض ؟

- ارفض لانك تصر على ان تعرف اسماء رجالي ..
- واي ضير في ان ترشدنا إليهم ؟
- لا مانع لدي بالتأكيد .. إذا كانت لدي عصاية ..
- ماذا تقصد ؟
- اقصد انني إنما أشتغل بمفردي ..
- بمفردك .. هذا كلام لا يقبله العقل !

- ولكن يقبله الواقع .. سل من شئت من رجالك تعلم انهم لم يروني في يوم من الأيام إلا وحيدا منفردا .. إنني الرئيس .. والوكيل .. والسكرتير .. والأعضاء .. والبواب أيضا فعصابتي مؤلفة من رجل واحد. وهذا الرجل هو أنا.. فليس عليك إلا ان تضع في جيبى ربع المليون دولار وتقف على الميناء لتلوح لي بمنديك مودعا !
وجعل "اركريد" ينظر إليه هنيهة ثم اقترب من "بيلد وكيلمان" واخذ الثلاثة يتحدثون في صوت منخفض. بينما كان "هيمي فيلدر" يحرك شففيه حركات خفيفة دون أن يخرج من بينهما صوت مسموع. ولكن كان من الواضح أنه يريد أن يردد جملة المعهودة :
- إنه مجنون .. إنه مجنون .

واستعار "كوبين" سيجارة من أقرب الجالسين إليه فاشعلها واخذ يدخن وهو ينقل بصره بين وجوه الرجال المنبئين في الغرفة وفي عينيه مرح وابتهاج كأنما ينظر إلى صور هزلية مضحكة
لم يكن "كوبين" من طراز يخيفه التهديد والوعيد وهو الرجل الذي امضى حياته مستهدفا للأخطار .. وما كان أيضا من الطراز الذي يرضى بأن يتخلي عن مهمة اخذها على عاتقه سواء قدموا إليه ربع المليون دولار أو ربع المليون رصاصة!

وعلى الرغم من أن الرجال الثلاثة كانوا يتبادلون الراى في صوت منخفض إلا أن "كوبين" كان يسمع الشطر الأكبر من حديثهم
وقد سمع "اركريد" يقول : وهل من المعقول أنه يعمل بمفرده ؟ إن كل هذه الأعمال الجريفة لا يمكن أن تصدر إلا عن عصاية منظمه
فقال النائب العمومي : إنني أعقد شخصا أنه صادق في هذا

القول .

وقال كيلمان : إنه يعتمد على المفاجأة .. يباغت أعداءه على غير انتظار فيظفر بهم .. ولكنني لا أعتقد أنه يجمع حوله عصابة ما . فقال "اركريد" :

- هذا جائز .. ولكن يجب أن نعمل عملاً يرضي الشعب .. إذا قدمناه إلى المحاكمة فضحنا وأطلق لسانه بما يعرف .. وإذا قتلناه هاج الشعب ضدينا .. ولكن يجب على أي الأحوال أن نتخلص منه . فما العمل ؟

واستمر الحديث برهة بين الرجال الثلاثة وكوبين ماض في تدخين سيجارته في غير اهتمام كأنما لا يحفل بما يجري حوله .. وكان هذا الحديث يعني شخصاً آخر سواه

ولكنه كان يفكر في ذلك الرجل العجوز "الكروس" الذي استدعاه من "أوروبا" وجعله يعبر المحيطات والبحار لكي ينقذ هذه المدينة الغارقة في الدماء .

إن من المحال أن يشي بهذا الرجل وأن يذكر للعصابة أنه هو الذي يؤيده ويسنده . كما أن من المحال أن يتخلى عن المهمة التي جاء من أجلها .

في هذه المدينة سبعة ملايين شخص يدفعون إلى القضاة وإلى رجال البوليس مرتبات ضخمة لكي يحموهم من السرقة والقتل .. فإذا بهؤلاء الرجال يستخدمون مناصبهم في تأييد السرقة والقتل !

وليس في هؤلاء السبعة الملايين رجل واحد يجهل هذه الحقائق ولكن ليس فيهم رجل واحد يجرؤ على أن ينادي برأيه وأن يقول للشرطي المرتشي : إنك مرتش .. أو للقاضي الخرب الذمة : إنك خرب الذمة

ولكن "كوبين" سيقول هذه الكلمة الجريئة .. فإذا كانت الشجاعة قد خانت سبعة ملايين رجل فإنها لم تخنه هو .. وإذا كانت المدينة بأسرها لم تجد الكلمة التي ينبغي أن يقال فإن "كوبين" قد وجدها وقطع عليه حبل تصوراته صوت "اركريد" وهو يقول :

- لقد سمعت يا "كوبين" كل ما ينبغي أن يقال .. ليس لحل هذه

المشكلة إلا طريقتان : طريقتك وطريقتنا .. فأيهما تختار ؟

- ولكنني أنكرت أنني ذكرت لك رأيي من قبل !

- لا تنوي أن تعدل عنه ؟

- إن كويين لا يتراجع .

فهو "أركريد" رأسه وقال : إنها فرصة افلقت منك .. وستندم عليها !
ونفض واقفا وهو يقول مخاطبا "كيلمان" : افعل إذن ما اتفقنا عليه
ومشى إلى الباب وخلفه النائب العمومي .

ولما انصرف الرجلان قال "كيلمان" تعال هنا يا كويين .
وتكهرب جو الغرفة وأرهف الحاضرون أسماعهم واتسعت عيونهم
انتظارا لما يمكن أن تتمخض عنه الحوادث !

وكان صوت "كيلمان" باردا ولكن نبراته تنذر بشر مستطير ولم يكن
في نية كويين أن يقف مكتوف اليدين حتى يجهز عليه أعداؤه .
ولكنه في الوقت ذاته لم يكن يدري كيف يكون المخرج من هذا المازق
الخرج إذ لا سبيل له وهو بمفرده إلى التغلب على عشرات من الرجال
مدججين بالسلاح .

ونظر "كيلمان" في وجهه وقال :

- إنك ولد طيب .. لقد اتعبتنا حقيقة ولكنك كنت ولا تزال ولدا
طيبا .. فهل لك في أن تنتظر برهة في الخارج حتى استدعيك !

ولم يكن أحب إلى كويين بالتاكيد من أن يغامر الغرفة. ولكنه لم
يغابرها بالطريقة التي ينتشها وإنما انقض عليه رجلان من أبناء
العصابة ومضيا به إلى الغرفة المجاورة

وأشار "كيلمان" إلى اثنين من أعوانه بالاقتراب منه وأخذ يصدر
إليهما تعليماته قائلا : ساعد إليك يا "ماكس" بهذه المهمة أنت و"جو"
.. فاديا له التحية العسكرية اللائقة .. ثم عودا لمقابلتي هنا .

وخرج الرجلان من الغرفة وقد أمسك كل منهما بمسدسه استعدادا
لأداء التحية العسكرية !

والتفت "كيلمان" إلى أعوانه وقال : كان كويين ولدا طيبا !

ثم أخرج من جيبيه منديلا مسح به بدمعة حزن ترقرت في عينيه !

* * *

عندما خرج كوين إلى الطريق انعشبه الذسيم العليل
وجلس في السيارة بين حارسيه وقد الصق كل منهما فوهة مسدسه
بجنب الأسير واصابعهما على الزناد حتى لا يتيجا له فرصة يفلت
فيها، فحسبه أقل حركة لينطلق المسدسان يحملان إلى قلبه الموت
الأكيد

وبينما كان السائق يدير المحرك ارسل كوين بصره إلى باب
الحانة.

وهناك رأى "فاي انواريس" تسد فرجة الباب بقوامها الرشيق
كانت حافة قبعتها مرخية على عينيها فلم يدر كوين إذا كانت تنظر
إلى ناحيته أم لا .. وما كان هناك سبب يدعوه إلى الظن بأنها تتابعه
بنظراتها أو انها تشعر بوجوده. ففي خلال الحديث الذي دار بينه
وبين "اركريد" كانت جالسة تدخن سيجارتها مستسلمة إلى خواطرها
الشخصية غير عابئة بما حولها .. وعندما اصدر "كيلمان" الامر
بإعدامه كانت مهتمة بإشعال سيجارة ثانية .. بل إنها لم تكلف نفسها
ملونة رفع عينيها .

وكانت ينما ثابتة لا ترتعد .. وعندما دفعه الحارسان إلى خارج
الغرفة نظرت إليه نظرة بدا فيها شيء من القلق والارتعاج ولكن هذه
النظرة ما لبثت أن تبدلت وارتدت إلى وجهها جموده المعهود
ولا حظ "ماكس" أن كوين يطيل النظر إلى "فاي" وهي عند باب
الحانة فقال له :

- تأملها جيدا .. فبعد قليل لن يكون في وسعك أن تتأمل شيئا !
فابتسم كوين وقال : إنها تستحق أن ينظر إليها المرء .. ومن
حسن الحظ أن السائق بطيء في عمله .. !
ورأى "كوين" الفتاة تعبر الطريق خلف السيارة في الوقت الذي
جذب فيه "جو" الستائر فاسدلها .

وبعد لحظات تحركت السيارة فعبرت بعض شوارع المدينة ثم
انعطفت إلى ناحية الغرب .

كان كوين يعرف أنه سائر إلى حتفه .. ولكنه ظل مع ذلك رابط
الجاش هادئ الأعصاب لا تطرف له عين إذ كان موقنا من أن الاقدار لن

تتخلى عنه في مثل هذه اللحظة الخطيرة التي اخذ فيها على عاتقه اداء رسالة العدالة .. العدالة السليمة التي لا ترحم أحداً ..
إنه ماتدخل وماقتل ابتغاء نفع خاص وإنما فعل كل هذا لكي ينقذ سبعة ملايين شخص من قبضة وحوش بشرية لا ترحم
وما كانت هذه أول مرة واجه فيها الموت. وما كانت أول مرة الفى نفسه فيها في مازق حرجة شديدة .

ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يطرد من ذهنه هذا السؤال :

- اتراه لم يبالغ في الثقة بنفسه والاعتماد بقوته !

وكان في وسعه أن يطلق صرخة استنجد كلما وقفت بهم السيارة عند مفترق الطرق .. ولكنه لم يكن من الطراز الذي يستنجد إذ ابت عليه كبرياؤه أن يلجأ إلى هذه الوسيلة التي لا يقرها تاريخه القديم الحافل بجلال الأعمال. ومع ذلك فهب رجال البوليس خفوا إلى نجده فهل ينتظر أن يجني من هذه النجدة شيئا ذا قيمة .. ؟ سينقذه الشرطي من حارسه. ولكنه سيرسل به إلى السجن .. ولن يجد كوبين محكمة تقره على طريقته في تنفيذ العدالة . فإذا نجا من رصاص المسدسات فلن ينجو من الكرسي الكهربائي .

وكان كوبين يعتقد أن حظه مع العصاة قد يكون خيرا منه مع القضاء .

وكان قد سمع كثيرا عن "النزهات الصغيرة التي ترسل إليها العصابات الأمريكية أعضائها .. ولكنه لم يكن يتوقع أن يساق بمثل هذه السرعة إلى إحدى تلك النزهات. ومهما يكن من أمر فسيحقق الآن بنفسه مما إذا كانت الروايات التي سمعها كاذبة أو صادقة. ولما كان المثل القديم يقول أن للمعرفة ثمنها فسيبغ كوبين حياته ثمنا لما سيعرف واخرج "ماكس" علبة سجنائه من جيبه وقدمها إلى كوبين وهو يقول :

- هل لك في سيجارة .. ؟

- شكرا .. إن التدخين مباح فيما أرى للمحكوم عليهم بالإعدام وفي الوقت الذي كان فيه "ماكس" يقدم إليه السيجارة كان "جو" متحفزا لاطلاق النار إذا بترت من كوبين بادرة تدل على أنه ينوي أن ينقض

على 'ماكس' .

وجذب 'كوبين' بضعة أنفاس من سيجارته ثم أسند رأسه إلى وسادة السيارة وقال متظاهراً بأن ليس للسؤال شيء من الأهمية :
- من هذه الفتاة المسماة 'فاي' .. ؟

فقال 'ماكس' مجيباً :

- ماذا تقصد بهذا السؤال .. ؟ إنها 'نمية' بالتأكيد وكان 'كوبين' يعرف أن هذا اللقب أي 'النمية' إنما يطلق على الفتاة التي يتخذها زعيم العصاة خلية له .

إن زعيم العصاة رجل دموي يمضي نهاره وليله غارقاً بين الجنث لا يفكر إلا في إراقة الدماء .. ولكن إذا ما حانت ساعة اللهو انقلب رجلاً آخر لا يفكر إلا في إشباع شهواته والاستمتاع بما في الدنيا من جمال. ولهذا كانت لكل زعيم عصاة 'نمية' يلهو معها ويزهو أمامها بالانتصارات التي أحرزها في عالم الجريمة .. ولكنه لا يشرك معه نمية في الخطط التي يضعها أو في الجرائم التي ترتكبها العصاة . النمية امرأة خصصت للمتعة واللهو لا للحكم والسلطان .. قد تكون رشيقة وقد تكون فتاة الجمال ولكنها لا يمكن أن تكون متوقدة الذكاء وكان 'كوبين' مقلتهاً إلى مضاعفة معلوماته عن 'فاي' انواريس ولكنه كان يعلم في الوقت ذاته أنه لن يظفر بجواب من 'ماكس' إذا وجه إليه في صراحة الأسئلة التي تدور في خله. ولهذا قال في غير اكتراث كأنما مقتضيات الحديث هي التي تدعو إلى ذلك :

- الحق أنها فتاة جميلة .. ولكني لا اعتقد أن لها ميزة أخرى غير الجمال .. إن النساء من الغباوة والتقلب بحيث لا يليق بالمرء أن يثق بهن فنظر إليه 'ماكس' في عطف وشفقة وقال :

- بل أنت الغبي .. أنها امرأة نكية .. إن في دماغها عقلاً لو وزع على عشرة من الرجال لأصبحوا من كبار الأنكباء .

فهز 'كوبين' كتفيه في استخفاف وقال : هذا رأيك أنت .. أما أنا فلي رأى آخر .. كلما ازداد ذكاء المرأة تضاعف خطرها .. قد تبدو المرأة عاشقة لك مدلهة في حبك فإذا أصبح اليوم التالي رايتها تتخلى عنك لأنها عشقت سواك .

فقال 'ماكس' في ازدياء : 'فأي انواريس' تخلصي عن العصابة وتخونها ! حقا لقد صدق 'هيمي فيلدر' حين نعتك بالجنون . 'فأي' تخون العصابة ؟ الا تعلم يا 'صاح' انها حلقة الاتصال ؟

فقال 'لوبيين' وهو لا يزال يتظاهر بقله الا كثرات : حلقة الاتصال ؟ - نعم .. إنها موضع ثقة 'الرفيق الكبير' .. إنها حلقة الاتصال بيننا وبينه .. فإذا اراد ان يصدر إلينا أمراً حملت هي إلينا امره .. وإذا أردنا ان نبعث إلى 'الرفيق الكبير' برأى لنا تولت هي إبلاغه رأينا .. إنها الشخص الوحيد في العصابة الذي يعرف 'الرفيق الكبير' .

وكان 'لوبيين' جامداً في مكانه لا ينم وجهه عن شيء مما يجري في خاطره كان ليس في هذا الحديث الذي يسمعه ما يثير الاهتمام . لو انه عرف منذ اليوم الأول ان 'فأي' هي حلقة الاتصال لكان له شأن آخر ولعرف كيف ينتفع بهذه المعلومات في الوصول إلى 'الرفيق الكبير' .. اما الآن فاية فائدة لما يعلم وهو مسوق إلى الموت ؟

لقد كان ينشد هذه المعلومات منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدماه الشاطئ الأمريكي . ولكنها معلومات لايمكن أن يرضى رجل من العصابة بالإفضاء بها وما جاعته الآن إلا عفوا وما انفجرت عنها شفتا 'ماكس' إلا وهو يعتقد انه يلقي بها إلى رجل ميت . وتنهذ 'لوبيين' وقال ونبرات صوته باردة على عهدهما :

- مما يؤسف له اني ساموت قبل ان اتعرف إلى 'الرفيق الكبير' .. كان يسرني ان اعرفه .

فضحك 'ماكس' وقال : وهذا الشوق هو الذي قالك إلى هذا المصير فقال 'لوبيين' معترفا : إنه فيما أرى رجل عظيم .

ولكن الشيء الذي يدهشني هو أنك وزملائك ترضون بان تثلقوا أوامركم من رجل لم تروه في حياتكم .. اعني ما الذي يجعلكم تتعلقون به ؟

فضرب 'ماكس' جبينه براحة يده وهو يقول : - إن في دماغه عقلا .. إنه رجل يعرف كيف يبتكر العمل .. ولقد كان العمل نائرا عقب إباحة الشراب .

وهز 'لوبيين' رأسه مستفسراً . فاستطرد 'ماكس' يقول شارحا هذا

الغموض :

- عندما كانت الكحوليات محرمة كان المهريون من أسعد الناس .. فلما أبيضت لم يعد لنا ما نعمله .. وكان يجب أن نعيش وأن نبحث عن عمل نرتزق منه .. وبدانا نشعر بالضيق والحرج والفاقة .. وفي تلك الأيام ظهر "الرفيق الكبير" فأنقذنا مما كنا فيه .

- وكيف أنقذكم ؟

- دبر لنا العمل . إنه رجل متوقد الذكاء عظيم الذهن . لا يقدم على حركة صغيرة إلا بعد أن يحسب لها حسابا . إنه لا يخطئ . فمن عمل في رعايته امن الوقوع في أيدي البوليس .

وظلت السيارة ماضية في طريقها . وكانت الرحلة طويلة .

لم يكن "لويين" يتوقع بالتأكيد أن يستفيد من هذه المعلومات والموت يرفرف بجناحيه فوق راسه فقد تكون اللحظة التالية هي اللحظة الأخيرة في حياته .

إن المعروف عن العصابات أنها لا تجهز على أحد من أعدائها إلا إذا أحاطته بالمراسيم والتقاليد المعهودة فيوقفونه في مكان ما ويطلقون عليه النار كأنه جندي صر الأمر بإعدامه .

ولكن من المحتمل وبالتأكيد أن تشد العصابة في هذه المرة عن تلك المراسيم فيكتفي "ماكس" وصاحبه بإطلاق النار عليه وهو جالس بينهما في السيارة وإلقاء جثته في عرض الطريق .

ومهما يكن من أمر . ومهما يكن من أمل في الحياة أو الموت فقد استرسل "لويين" في توجيه أسئلته إلى "ماكس" بنفس قلة الإكتراث التي تظاهر بها من أول الأمر حتى يلقي في روع جليسه أنه لا يعتمد استجوابه وأن هذه الأسئلة إنما تردت على لسانه عرضا .

وقال "لويين" يسأله : ولكن كيف جاء "الرفيق الكبير" ؟ أعني كيف ظهر للمرة الأولى ؟ فإذا كنتم لم تروه من قبل ولم تسمعوا عنه فكيف يمكن أن تظلمنوا إليه وكيف يمكن أن تعرفوا أنه قد يكون ذا نفع لكم ؟ فابتسم "ماكس" وقال :

- إنه رجل نكي . وقد دبر كل شيء .

- ولكن كيف بدا ؟ كيف تمكن من الاتصال بكم في أول الأمر ؟ كيف

سمعتهم به في المرة الاولى . ٢
فابتسم 'ماكس' وقال : لا جواب عندي على هذه الاسئلة . فلك ان
تخمن الجواب كما تشاء ولديك متسع من الوقت للتفكير .
وفي هذه اللحظة هدأت السيارة من سرعتها ففهم 'كوبين' ما يرمي
إليه 'ماكس' وقال : هذا صحيح . إن لدي متسعا من الوقت للتفكير !

الفصل السابع

عندما خفت السيارة من سرعتها أرسل كوين بصره إلى الطريق من خلال النافذة الأمامية فوجد الأشجار قائمة على الجانبين كأنهم في شبه غابة . ولم تقف السيارة في ذلك المكان وإنما انعطفت إلى اليمين في حركة حادة وسارت في طريق ضيق تحف به الأشجار المتشابكة الأغصان التي كانت كغيلة بأن تحجب ما يجري في داخل هذا الطريق الضيق عن كون سائرا في الطريق العام .

وأخذت السيارة تنب وثبات متقطعة كلما مرت بجزء غير مهده من الأرض

وشعر كوين بأن المرحلة الأخيرة قد بذت .. واشتد خلفان قلبه وتوترت أعصابه . ولكنه لم يكن خائفا .

وكان الطريق يضيق تدريجيا كلما تقدمت بهم السيارة . وبعد مسير بضع دقائق وقفت دفعة واحدة أمام باب يقضي إلى حديقة يحوطها سياج منخفض .

وكان هذا المكان في رأي كوين أصلح مكان لارتكاب جريمة القتل . ففي وسعهم أن يطلقوا عليه النار دون أن يترامى نوي الطلقات إلى أحد في هذه المنطقة المهجورة . وفي وسعهم أن يتركوا جثته دون أن يجشموا أنفسهم بثلاثة نفثا وهم مطمئنون إلى عدم العثور عليها إلا إذا قامت الصدفة أحد الناس يوما إلى هذه الحديقة المهجورة . وقد تقع هذه الصدفة بعد عام أو عامين أو ثلاثة وعندما يكون الناس قد نسوا اسم "أرسين لويين" واعتقدوا أنه اختفى فجأة من تلقاء نفسه كما ظهر فجأة وبهذه الطريقة تتحقق غاية "أركريد" وأصحابه فيخلصون من كوين دون أن يهيجوا الشعب ضدهم .

ونزل "ماكس" من السيارة وهو مصوب مسدسه إلى كوين قائلا :

- تفضل أيها الصديق العزيز .

وخلف كوين نزل "جو" ومسدسه في يده

ولم يكن كوين يفكر في هذا الوقت إلا في الطريقة التي يتوصل بها إلى الفرار .. كانت كل جوارحة من جوارحه متنبهة بقلته .. وكانت كل

عضلة من عضلات جسمه متحفزة حذرة .. وما شعر في يوم من الأيام بالحياة تتدفق في عروقه مثلما شعر بها اليوم وهو يواجه الموت . ولو أن إنسانا راه في هذه اللحظة لا ستحال عليه أن يتصور أن هذه الحياة الدافقة الفياضة .. هذه الحياة الصاخبة العاتية .. ستخمد بعد لحظات قليلة !

ودفع "ماكس" باب الحقيقة الذي لم يكن موصدا وبخل يتبعه أسيره وخلفه "جو" .

ولقد خطر "كوبين" أن ينقض على أحد الرجلين محاولاً أن يقتزع منه المسدس . ولكنه لم يكن يجهل خطورة هذه الفعلة إذ سيبارره الثاني بطلقة تربيته قتيلا قبل أن يفرغ من خصمه .

وإدار "كوبين" عينيه في الحقيقة الصغيرة وقال : هذه نهاية المرحلة ؟

فقال "ماكس" في اقتضاب : ونهاية الحياة أيضا !

فقال "كوبين" في بساطة : حياة من ؟ أنا أم أنتما ؟

فنظر إليه "ماكس" في دهشة وقال :

- امزح كيف شئت .. فبعد قليل لن تقوى علي المزاح .

وجعل "كوبين" يستعيد إلى ذاكرته مازق قيمة من هذا القبيل .. كم من مرة وقع فيها في أيدي خصومه وأعدائه ثم استطاع أن ينجو فهل كتبت له النجاة في هذه المرة أيضا ؟

لم يكن في نيته أن يسلم نفسه لقمة سائغة لأعدائه .. بل كان ينوي أن يجاهد في سبيل الحياة ... كان ينوي أن يضرب الضربة الأخيرة فإذا أخفقت فلن يخسر شيئا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامته القيمة .. ابتسامته التحدي والنضال والاستخفاف بالمخاطر والأهوال والتفت إلى صاحبيه وقال :

- لقد كنت طول حياتي اتلهم إلى معرفة الطريقة التي تتخلص بها العصابات الأمريكية من أعدائها .. ومن حسن حظي أنكما ستشفيان غليلي .. !

فضحك "ماكس" وقال :

- ثق أننا سنشفي غليلك حتى اللحظة الأخيرة من حياتك .

- ولكن ارجوك يا 'ماكس' ان تحوطني وانت تقتلني بكل العقاليد
والمراسيم المرعية وإلا مت حزينا !

واوما 'ماكس' بمسدسه إلى شجرة قريبة وهو يقول :

- قف عند هذه الشجرة .. إنها اصلح الامكنة .

وقد نطق 'ماكس' بهذه الجملة بنفس البساطة التي كان جديرا بان
ينطق بها لو انه كان في نيته ان يلتقط صورة 'لارسين لوبين'

تفرس فيه 'لوبين' هنيهة ثم مشى إلى الشجرة المقصودة إذ لم يكن
في وسعه إلا الخضوع .. فما يستطيع المرء ان يعصى أمرا لمسدسين
مصوبين إلى صدره .

ووقف 'ماكس' في وسط الحديقة وأشار إلى مساعده 'جو' قائلا :

- فتشه

وبنا 'جو' من 'لوبين' وهو يقول :

- لابد من التفتيش لأن لبعض الناس ولعا بئس دروع من الصلب
تحت ثيابهم الداخلية .

واخذ 'جو' يفك أزرار 'لوبين' ويعري صدره .

ورفع 'لوبين' يديه متظاهرا بمساعدته في فك الأزرار ... ولكن يده
اليمنى استقرت على فك 'جو' في لكمة عنيفة لو انها اصابت ثورا
لصرعته ... وفي نفس الوقت قبض بيسراه على يد 'جو' الممسكة
بالمسدس وأزاحها بعيدا عن جسمه حتى لا يصيبه الطلق الناري إذا
ما ضغط 'جو' على الزناد دفعا عن نفسه . وفعل طاشت الرصاصة
عن هدفها واستقرت في إحدى الأشجار !

وفي اللحظة التالية كان 'لوبين' قد القى بذراعيه حول عنق 'جو'
يضغطه بشدة وقد اجتذبه إليه وضمه إلى صدره ليتخذ من بدنه درعا
حيا يحميه من رصاصات 'ماكس' .

وقد فوجئ 'ماكس' بهذا الحادث غير المنتظر فرفع مسدسه ليطلق
النار على 'لوبين' ولكنه أدرك ان رصاصاته وهو في هذا الموقف لن
تصيب إلا زميله 'جو' . فوثب بضع خطوات منتقلا إلى ركن آخر من
الحديقة حتى إذا رأى الهدف مكشوفاً رفع مسدسه وضغط الزناد
وقبل أن تنطلق الرصاصة كان 'لوبين' قد احتوى بالدرع البشري .

وراه كوين وهو يضغط الزناد فأنحرف قليلا ليتفادى الرصاصة المسددة إليه .. ولكنه أخطأ الحساب فشعر بالأم حاد يصيبه في كتفه وعرف أن رصاصة "ماكس" قد استقرت في بدنه .

وضغط "ماكس" الزناد للمرة الثانية ولكن "كوين" كان على تمام الأبهة في هذه المرة فلم تصبه الرصاصة وإنما أصابت برعه البشري . وتراخت يدا "جو" وأفلتت أصابعه المسدس فسقط على الأرض . ولم يكن في وسع "كوين" أن ينحني ليلتقطه .. وإلا كشف نفسه وعرض رأسه وجنبه لمسدس "ماكس" .

وصاح "ماكس" قائلا : الويل لك ! إنك لن تنجو من يدنا !

ثم رفع عقيرته ينادي سائق السيارة قائلا :

- هانك .. تعال أيها المجنون .. أين أنت ؟

وذكر كوين السائق الذي كان واقفا في الخارج عند باب الحديقة مهتما بتنظيف سيارته وعرف أن أملة في النجاة قد ضعف .. فقد يكون من السهل أن يقاوم عدوا واحدا محتميا بجلة "جو" .. أما أن يقاوم عدوين يتلقاه هذا من اليمين وذاك من اليسار فأمر يقرب من حدة الاستحالة ! ..

ولكن السائق لم يجب النداء فصرخ "ماكس" ثانية قائلا :

- هانك .. أين أنت .. ؟

وفي تلك اللحظة فتح باب الحديقة وتلهم عند عتبة شبح يمشى في خطوات رشيقة . وتكلم الشيخ قائلا :

- "الرفيق الكبير" يأمرك يا "ماكس" بأن تنتظر .. !!

* * *

لم يكد "ماكس" يسمع هذه الجملة حتى اتسعت حقيقته بهشة وتراخى فكاه نهولا .. ولكن الشيء الوحيد الذي لبث ثابتا في مكانه إنما هو ذلك المسدس المصوب إلى ناحية "كوين" .

وصاح "ماكس" يقول دون أن يلتفت خلفه : ماهذا .. !

فاجابته "فاي انواريس" : إنه أمر "الرفيق الكبير" .

أما "كوين" فقد شعر وهو يستمع إلى هذه الكلمات بأنه خرج من الموت إلى الحياة . وتضاعف أملة في النجاة إذ كان تسخل الفتاة في

هذه اللحظة كفيلا بأن يهين له من الوقت فسحة يلتمس فيها مخرجاً
وقال "ماكس" يسألها في صوت بارد : ولكن كيف جئت .. ؟
فاجابته في صوت اشد بروداً :
- جئت ماشية .. ألم تسمع ما قلت لك .. ؟ إن "الرفيق الكبير" يامرك
بأن تتركه .

فقال "ماكس" في لهجة تدل على الاستغراب : ولكنه قتل "جو" .
- فليكن .. إن امر "الرفيق الكبير" يجب أن ينفذ .
ونظمت الفتاة بهذه الجملة في نبرة تنم على أنها لاتعيا سواء قتل
"جو" او حشرات مثله .

وكان كويين يعرف أن مسدس "جو" لايزال على الأرض على قيد
خطوتين منه ولكن كيف السبيل اليه وهو لو تقدم خطوة واحدة
وانحنى لالتقاطه للفت إليه الانظار ولكشف من جسمه هدفاً لمسدس
"ماكس" .

ولكنه كان في حاجة إلى هذا المسدس وكان لابد له أن يحتال على
الوصول إليه فاخذ يتزحزح من مكانه تدريجياً .. بوضعة بعد بوضعة
في حركة غير ملحوظة مقتربا من الموضع الذي كان المسدس يلتصق فيه
مغتتما فرصة انهماك "ماكس" في التحدث إلى الفتاة .
ولما ملك "ماكس" روعه وزالت عنه دهشة المفاجأة قال يسأل الفتاة في
خسونة:

- وما الذي يريد "الرفيق الكبير" أن نفعله به .. ؟ هل يريد أن نقبله ؟
- "الرفيق الكبير" يامرك بأن تتركه .

ولم تكن المسافة التي تفصل كويين عن المسدس إذ ذاك لتزيد على
ست بوصات فحرك قدمه حتى لمست المسدس ليتأكد من أن بصره لم
يخدعه ثم تهيأ للحركة النهائية : فليس عليه الآن إلا أن يترك جثة "جو"
وفي الوقت نفسه ينحني على الأرض ويختطف المسدس في اللحظة
التي يرى فيها أن "ماكس" حول بصره عنه .
وقال "ماكس" في نبرة فياضة بالغضب :

- كيف اتركه وقد قتل زملائنا واصدقائنا .. كلا يا "فاي" .. قولي
للرفيق الكبير إنك وصلت بعد فوات الوقت .. قولي له إنك وصلت

فوجدت أننا أجهزنا عليه .. محال أن أخلي سبيل هذا الشيطان
المجنون . ١

ورفع "ماكس" مسدسه متهيباً لإطلاق النار على "أرسين لوبين"
فصاحت به الفتاة : لا تكن مجنوناً !
وتعلقت بذراعه وجذبت يده إلى الأسفل .

وكانت هذه هي الفرصة التي ينشدها "لوبين" فأنحنى على الأرض
في سرعة البرق واختطف مسدس "جو" واعتدل واقفاً وهو يقول :
- ما وصيتك الأخيرة يا "ماكس" ؟ ..

لقد أقسم "لوبين" أن ينفذ القانون وأن يجرّد قلبه من الرحمة .
وضغط الزناد بإصبعه فصرخ "ماكس" ثم ترنح وسقط على الأرض
جثة هامدة دون أن يتمكن من إطلاق رصاصة واحدة من مسدسه لأن
الفتاة كانت لاتزال متعلقة بذراعه على الرغم من محاولته التملص
منها .

ونظر "لوبين" إلى الجثتين المطروحتين على الأرض وخالجه شعور
بالندم فما كان في نيته أن يقتل أحداً من هؤلاء الزعانف وهو لا ينشد
إلا الرؤوس الكبيرة أما الفتاة فكانت جامدة في مكانها تتأمل الجثتين
دون أن تتراءى في ملامحها نرة واحدة من الندم أو الخوف .
وذكره موقفها بتلك الليلة التي قتل فيها "موري والينو" . بل ذكره
بما كان منها منذ ساعة أو ساعتين حين صدر الأمر بإعدامه .
إنها هي دائماً بعينها لا تتغير ولا تتحول .. نفس الجمود ونفس
قلة الإكتراث .. كأنها قطعة من الصخرة وكان لها قلباً لا يشعر ولا
يحبس .

واقترب منها "لوبين" ونظر في عينيها .. ولكن عينيها كانتا جامدتين
لا توحيان بشيء . ١

ولم تتكلم الفتاة ولم يكن "لوبين" ليذري ما ينبغي أن يصنع إذ كان
الموقف غريباً شاذاً .

وأحنى رأسه في إيماءة خفيفة وهمس قائلاً : شكراً لك .

وكانت عيناها جامدتين صامتتين .. ١

وتكلمت الفتاة قائلة : اهذا كل شيء .. ٢

وحين سمع صوتها الموسيقي سرت في يده تلك النشوة الجارفة
التي ما سمع صوتها إلا تدفقت في اوصاله .

وحرك "لوبيـن" يديه بشكل يدل على الارتباك وقال :

- هذه هي المرة الثانية التي تنقنين فيها حياتي .. ولست ادرى
السبب فهل هناك شيء تريدينه ؟

فقاطعت الفتاة بقولها : نعم هناك هذا ..

وعلى حين فجأة وقبل ان يدري "لوبيـن" بما صنعت الفتاة كانت قد
القت بذراعيها حول عنقه والصقت وجنتها بوجنته وتركت جسمها
اللدن يتماوج على صدره . ١ وفاح من شعرها عبير مسكر طغى على
حواسه وضاعف النشوة التي تدفقت في عروقه حتى لقد خيل إليه أنه
في حلم لا في يقظة . ووجدت الفتاة شفثيه وقبلته ..

وحملق "لوبيـن" في وجهها دهشا وتمتم قائلا : إني أسف .

فتباعدت عنه الفتاة وتراجعت خطوة إلى الوراء ثم أمسكت بذراعيه
في رفق وهي تقول : دعني أرى جرحك ونزعت عنه جاكته وضمت
الجرح الذي في كتفه بمنديلها ومنيله .

ثم قالت له : هيا بنا إلى السيارة .

فقال يسألها : ولكن أين السائق ؟

فكان جوابها لقد قتلته !

وحين خرج "لوبيـن" من باب الحديقة وجد السائق جثة هامدة عند
سيارته وبين كتفيه خنجر غارق بين اضلاعه حتى المقبض فعرف السر
في أن "هانك" لم يجب حين صاح "ماكس" يناديه .

ولم ينظر "لوبيـن" إلى وجه الفتاة إذ كان موقنا من أن وجهها يكتسي
نفس القناع الصخري الذي يهزأ بالحياة وبالموت على السواء . ذلك
القناع الذي لم يرتفع عن وجهها إلا في تلك اللحظة الخاطفة التي
طوقته فيها بذراعيها .

وتولت "فاي" قيادة السيارة وهي تقول :

- ساذهب بك إلى طبيب اعرفه في حي "باساك" .

- شكرا لك . ولما خرجا إلى الطريق العام لم ير "لوبيـن" السيارة التي
كان يتوقع أن تكون الفتاة قد جاءت فيها فقال يسألها :

- ولكن كيف جئت ؟

- اختبأت في الحقيبة الخلفية عندما كانت السيارة واقفة بباب الحانة .

وكانت الرصاصة التي أصابت "لويين" في كتفه قد جعلت قدرا كبيرا من الدماء ينزف من جرحه فظل طول الطريق صامتا لا يتكلم وقد أبركه الإعياء .

ولما بلغا عيادة الطبيب قال لها "لويين" : يحسن بك أن تنتظريني في السيارة حتى أرجع إليك وإلا وشى بك الطبيب إلى زملائك إذا كان ذا صلة بالعصابة .

- كلا .. إنه ليس متصلا بالعصابة .

وكان الطبيب خبيرا بمهنته وخبيرا بالمرضى الذين يعالجهم !
فما وجه إلى "لويين" سؤالا واحدا عن السبب في إصابته وما سألته عن اسمه وما قال إن واجبه يقضي عليه بأن يخطر البوليس !
ولما فرغ الطبيب من تضميد جرح المصاب وأخرج الرصاصة التي كانت مستقرة في كتفه قال : ألف دولار من فضلك !

وكانت القيمة كبيرة كاجر لعملية جراحية من هذا النوع ولكنها كانت مناسبة كاجر للكتمان وعدم الفضول وبحث "لويين" في جيوبه فذكر أنه لا يحمل مالا إذ جردته العصابة من محافظته فقال :

- إني لا أحمل مالا- فهل ترجئني إلى الغد ؟

- بلا شك .. إلى الغد ولكن أرجوك أن ترسل إلي المبلغ أوراقا مالية صغيرة .

وشيع "لويين" والفتاة إلى الباب .

وجلست الفتاة إلى عجلة القيادة وقالت تسأل "لويين" :

- إلى أين أنهب بك .. ؟

- إلى "نيويورك". وكان تضميد الجرح قد أفاده وربت إليه جرعة الدواء التي قدمها إليه الطبيب بعض قوته التي فقدتها فاريد قائلا :
- نعم .. يجب أن نعود إلى "نيويورك" فإن مهمة الليلة لم تنته بعد
- ولكنني أراك في حالة لا تصلح معها للعمل الليلة .

فهرز رأسه في إصرار وقال : إني أكره الراحة وحديثه الفتاة بنظرة

فاحصة وقالت : ما الذي جاء بك إلى هذه البلاد ؟

فأخرج كوبيـن بطاقة صغيرة من جيبه وضعها تحت نظر الفتاة . وهو يقول : جئت إلى هذه البلاد لأقتل ستة رجال .. وقد قتلت ثلاثة منهم حتى الآن 'جاك' 'أربول' و'موري' و'الينو' و'ايدى فولسانج' .. فلم يبق إلا ثلاثة .

فقالت الفتاة وهي تنظر في البطاقة :

- بل لم يبق إلا اثنان لأن 'جانسون' هو نفسه 'هانك' سائق السيارة إنه يدعى 'هانك جانسون' .. ويظهر أن الدور الآن على 'داتش كيلمان' فحجبها كوبيـن بنظرة فاحصة وهو يقول :

- إن 'كيلمان' صديق لك فهل تنوين أن تشي بي ؟

فهزت رأسها وقالت : ليس لي أصدقاء .. سأذهب بك إليه الآن .. فإذا رأيته خارجا من الحانة فتقدم إليه فابتسم 'كوبيـن' وقال :

- وسأؤدي التحية العسكرية الثلاثة بمقامه العظيم !

وكان كوبيـن يعتقد في إخلاصها وفي أنها ستشهد له السبيل لأن ينال 'كيلمان' إذ ليس معقولا أن يكون في نيتها استدراجه إلى فخ ينصب له وقد كان في وسعها أن تترك 'ماكس' يقتله إذ مامعنى أن تنقذه منذ لحظات لتقوده إلى حقله في اللحظة التالية ؟

وفي اللحظة التي كانت فيها 'فاي' منطلقة بالسيارة إلى حانة 'شارلي' كان 'داتش كيلمان' يقول لأعوانه :

- حسبي ما انتظرت . فإذا جاء 'جو' و'ماكس' فارسلوهما إلي في داري .

ونَهَض 'كيلمان' واقفا فنهَض في اثره الحارسان اللذان يتوليان حمايته والدفاع عنه ضد اعتداء العصابات المنافسة .

ولبث 'كيلمان' في داخل الحانة على مقربة من الباب على حين خرج الحارسان إلى الطريق ينظران يمنة ويسرة ليتأكدا من 'تظافة' الطريق.

وقال أحد الحارسين يخاطب موله : الطريق 'تنظيف' فتفضل .
وخرج 'داتش كيلمان' إلى الأفرين وهم بالصعود إلى سيارته .

وفي تلك اللحظة لاحت سيارة تقترب من المكان . فلما نظر إليها
"كيلمان" قال يخاطب الحارسين :

- هاهي ذي سيارة "ماكس" و "جو" .. لقد جاءا في الوقت المناسب
وليث واقفا على الافريز ينتظر دنو السيارة .

ولما صارت على قيد خطوة واحدة منه رأى في نافذتها شبحا .

وكان الوقت اضيق من ان يتسع للتحقير والفرار !

لقد رأى في النافذة شبح الرجل الذي أرسله إلى حتفه منذ ثلاث
ساعات .. كان وجهه شاحبا ممتعنا ولكن عينيه كانتا ترسلان وميضاً
مخيفاً !

وبوى في سكون الليل طلق ناري .. وقبل ان يبلغ "داتش كيلمان"
الأرض كانت السيارة قد ابتعدت وهي تذهب الأرض صوب الشرق !

* * *

بينما كان رجال البوليس يغدون ويروهون حول حانة "شارلي" في
حيرة وارتيباك لا يدرون مايصنعون - كانت "فاي ابواريس" قد أمعنت
في الابتعاد حتى إذا بلغت حديقة "سنترال بارك" أوقفت سيارتها
هناك.

ونكر "لوبيين" فجأة ليلة جاء فيها إلى نفس المكان ولكن في سيارة
أخرى يقودها المفتش "فرساك" .

لم تمض على هذا اللقاء ست وثلاثون ساعة ومع ذلك فقد وقعت في
خلالها حوادث جسيمة . وراح "لوبيين" يسائل نفسه عما يجول في
خاطر "فرساك" في تلك اللحظة وهو يرى هذا البركان الثائر الذي
يجتاح العالم السفلي .. هذه العاصفة العاتية التي أخذت تكتسح
الأرض فلا تبقي ولا تذر .

من المحتمل أن يكون "فرساك" في هذه اللحظة منطلقا في أرجاء
المدينة متعبا في أركانها بحثا عن "لوبيين" ليرضي باقتناصه أولئك
السياسيين الذين يقبضون على زمام الحكم في البلاد والذين يرون في

بقائه حيا خطرا جسيما على مقاعدكم في المجالس النيابية .. فلو انه
قرر لهما ان يلتقيا مرة اخرى لما كان حديثهما كسابقه وبدا مشربا
بروح العطف .

واشعلت "فاي ادواردس" سيجارتها .. ورأى "كوبين" وجهها على
ومضة الكبريت كالعهد به هائلا جامدا كأنه وجه تمثال من الشمع .
ولم يكن في عينيها خوف او اضطراب فقال في نفسه .

- ليت شعري ايمكن ان تكون هذه الفتاة قد قتلت رجلا منذ ساعة
وعاونتني على قتل رجل آخر .. ؟

والتفتت إليه "فاي" وقالت : إن اسمي مدرج في قائمتك فهل تراني
ارتكبت إنما ؟ لا شك أنك تروم مني امرا . فما الذي تبغيه .. ؟
هائلا امامك .

فابتسم "كوبين" وقال :

- إنني ما كتبت اسمك إلا فضولا مني .. إنك عندي بمثابة لغز
غامض .. كنت استرق السمع وانت تتحدثين تليفونيا مع القاضي
"ناتير" فكانت هذه أول مرة سمعت فيها صوتك .. وكنت أرقبك وأتأمل
وجهك وانت جالسة مع "موري والينو" .. ولقد أعطيتني المسدس الذي
استلعت به على الفرار من مقر العصابة .. فأريت أن أعرف من أنت
وماذا كنت .. ماضيك وحاضرك . ما الذي دعاك إلى الانتماء في
العصابة ؟ إنني رجل فضولي كما ترى .

فهزت كتفيها وقالت : والآن قد عرفت الجواب بدون شك .. ؟

- اتعتقدين ذلك .. ؟

وما انفجرت شفتا "كوبين" عن هذه الجملة حتى أدركه الندم وعرف
أن لسانه قد هفا . إذ تحولت إليه الفتاة ونظرت في عينيها فاسرع
يقول :

- عندما نكرت "لماكس" أن "الرفيق الكبير" يأمره بأن يطلق سراحني ..
لم يكن هذا صحيحا .

- وما الذي جعلك تظن هذا .. ؟

- مجرد تخمين .. ولكنني موقن مما أقول .

ونفقت الفتاة من فمها سحابة كثيفة من البخان وقالت :

- نعم .. لم يكن صحيحا أن "الرفيق الكبير" مدرج في قائمتك فهل

تريد أن تظفر به أيضا .. ؟

- بل أكثر من سواء .

- إنك عنيد قوي الإرادة .

- إنني أريد أن اكتب الفصل الختامي في هذه الرواية ..

وساد الصمت هنيهة ومضت الفتاة تدخن وهي غارقة في خواطرها

و"لويين" يرقبها ويتفرس في وجهها وهو يسائل نفسه عما يدعوها

إلى الانمماج في هذه البيئات الغارقة في الجثث والدماء .. وأولى بمن

كانت على مثل جمالها أن تكون الآن في مخدعها لتجمل وتزين

وتصغي إلى مناجاة العشاق .. ولكنها فيما يلوح من طراز يفهم الموت

أكثر مما يفهم الحب .. !

وتكلمت الفتاة قائلة :

- اظن أن في وسعي أن ارشدك إلى "الرفيق الكبير" .

وكان صوتها هادئا يدل على قلة الإكتراث كأنما تتحدث عن شيء

غير ذي بال .

وقال "لويين" يسألها : ولكنك تعرفينه .. اليس كذلك ؟

- إنني للشخص الوحيد الذي يعرفه .. ؟

- إنه لغز عظيم اليس كذلك .. ؟

كم مضى على معرفتك له ؟

- قابيلته منذ ثلاث سنوات قبل أن يصبح "الرفيق الكبير" بل قبل أن

يسمع به إنسان . لقد انتشلني من وهدة الحياة وأنقذني مما كنت

أكابد من الفقر والفاقة .. لقد حدثني بفكرته فراقته لي إذ كانت فكرة

سديدة منهشة واستطعت أن امد إليه يد المعونة بأن جمعت

حوله أفراد العصابة ولكنهم لم يتصلوا به مباشرة وإنما عن طريقي ..

وهكذا كنت حلقة الاتصال بينه وبينهم حتى الليلة .

- انقصدين أنك اعتزلت العمل ؟

- كلا .. كل ما هنالك اني غيرت رأيي .

وساد الصمت هنيهة ثم قال كوين " لاشك انه رجل عظيم !

- إنه عظيم .. عندما بدا العمل كنت اعتقد انه لن يستمر اكثر من

اسبوع واحد على الرغم من سداد فكرته فإن الفكرة السليمة ليست هي

كل شيء في مهنتنا هذه .. لابد للزعيم من أن يكون ذا شخصية جارفة

قوية .. و"الرفيق الكبير" مجرد من الشخصية .. ولاشك انه يعرف ذلك

عن نفسه . ولعل هذا هو مادعاها إلى الاختفاء والتستر مكتفيا

بمخاطبة عصابته عن طريقي .. بل إنه لم يفكر يوما في أن يخاطب

العصابة بنفسه تليفونيا .. إنه جبار في أحلامه ضئيل منكمش في

الحياة . لو انهم راوه لاحترقوه وازبروه فكانت حكمة منه انه اختفى

جاءلاً مني حلقة للاتصال متخذاً لنفسه لقب "الرفيق الكبير" .

وعاد كوين يسالها بقوله :

- ألم يحاول أحد من رجال العصابة أن يكتشف شخصيته ؟

- لقد تعدت المحاولات التي من هذا القبيل ولكنها باءت كلها

بالخسران . لقد اقدم "موري والينو" على هذه المحاولة .. وكذلك فعل

"كيلمان" . وماتركا حيلة إلا عمدا إليها .. ولكنهما لم يظفرا بشيء ..

وله في دفع أجور افراد العصابة طريقة ملتوية لايمكن احدا من

معرفة ..

وعل الرغم من أن جزءا كبيرا من اموال الفدية او الإتاوات المختلفة

التي تدفع لأعوانه - على الرغم من انها أوراق مالية كبيرة يمكن

تتبعها إلا أنه ظل مع عصابته بعيدا عن الريب والشبهات .. نعم إنه

ذكي حريص .

ولم يكن هناك ما يدعو إلى الغرابة فيما ذكرته الفتاة فقد يكون

الرجل جبارا إذا خلا بنفسه .. ضعيفا إذا ما واجه الجماهير ..

و"الرفيق الكبير" من هذا الطراز .. يستطيع أن يدير ويحرك العصابة ..

ولكن من وراء ستار .. إنه رجل لا شخصية له .

ولكن السؤال الذي كان لا يزال يتردد في ذهنه والذي أبى 'ماكس' أن يجيب عليه هو هذا : كيف بدأ 'الرفيق الكبير' عمله ؟

فابتسمت الفتاة وقالت : بمائة ألف دولار .. كان هذا هو رأس ماله

لقد أوفيتني إلى 'موري والينو' لأنكته بانه - أي 'الرفيق الكبير' - يريد أن يختطف رجلا معينا لقاء خمسين ألف دولار . واغتبط 'والينو' بهذا الأجر الضخم لأن العصابة ما كانت لترفض القيام بهذا العمل لو أنها تقبعت عشرة ألف دولار .. وزود 'الرفيق الكبير' 'والينو' بالمعلومات التي لا بد منها ليتم الاختطاف دون أن تتعرض العصابة لأي خطر .. وكانت هذه المعلومات من الدقة والإحكام بحيث تم اختطاف الرجل في الساعة المحددة دون أن يستهدف أحد لأي نوع من أنواع الخطر .. واضطر الرجل أن يفتدي نفسه بمبلغ دفعه إلى 'والينو' .. ولكن 'والينو' كان يعرف أن نجاح هذه الخطة إنما استند إلى المعلومات التي زودهم بها 'الرفيق الكبير' .. وكذلك اتصل 'الرفيق الكبير' عن طريقي بـ 'دالتش كيلمان' وعهد إليه باختطاف رجل آخر لقاء نفس الأجر .. وتم هذا الحادث أيضا بنفس النجاح الذي تم به سابقه فلم يكن أسهل إذ ذاك من أن يجمع 'الرفيق الكبير' تحت ظله 'والينو' وعصابته و'كيلمان' وعصابته فالف من بينهما عصابة واحدة تالتر بأمره وتنفذ ما يشير به دون تردد ودون أن يفكر أحد منهم في الانفراد بنفسه وهم يعلمون أن نجاحهم متوقف على المعلومات الدقيقة التي يزودهم بها 'الرفيق الكبير' .. ومن هذا ترى كيف استهل حياته .. ورجال العصابات كما تعلم قد يكونون مفطورين على الجراة ولكنهم ليسوا مفطورين على الذكاء .. قد يستطيع الواحد منهم أن ينطلق في الطريق ومسدسه في يده يقذف بالنيران يمينا ويسرة دون أن يهاب شيئا .. ولكنه لا يستطيع لحظة واحدة أن يفكر أو أن يضع خطة سديدة .. فكانت مهمة رجال العصابات أن يطلقوا النار أما مهمة 'الرفيق الكبير' فكانت أن ينبئهم بالساعة التي يطلقون فيها النار والمكان الذي تطلق فيه .

وهكذا عرف "كوبين" جواب السؤال الذي ينشده .. عرف السر الذي جعل رجال العصابات يخضعون للرفيق الكبير ولا يفكرون في الغدر به .

وقال "كوبين" يسألها : وعلى هذا المنوال استمر العمل ؟

- نعم .. ولكن مع فرق بسيط .. لو أن "الرفيق الكبير" استمر يستاجر "والينو" و"كيلمان" وعصائبيتهما للقيام بأعمال فريبة من هذا القبيل لقاء أجر معين لارتفع هذا الأجر تدريجيا إلى درجة يستحيل معها مواصلة العمل .. فرأى أن يعدل عن خطة الاستئجار إلى خطة أخرى قائمة على أساس اقتصادي .. لماذا لا يجعلهم شركاء له .. ؟ وهذا هو ما حدث فعلا .. لقد اتفق مع زعماء العصابة على أن ينقدهم مرتبا شهريا ثابتا للإنتفاق منه وسد الحاجات الضرورية . أما ما بقي من مبالغ الغنية فيودع بنكا معيناً حتى إذا انقضت ثلاث سنوات وزع الرصيد بالتساوي بين الزعماء .. لقد كان عددهم سبعة قبل حضورك .. أما الآن فلم يبق منهم إلا اثنان .. وهذا معناه أن "الرفيق الكبير" وصاحبه "كيرلي ايبولينو" سيقتسمان الرصيد معا على قدم المساواة فموت هؤلاء الزعماء كان نعمة كبيرة على "الرفيق الكبير" وصاحبه اللذين لا يزالان على قيد الحياة لأنهما سيصبحان الوريثين الوحيدين للنفقات المتركمة التي بلغت عشرين مليوناً من الدولارات .

فابتسم "كوبين" وقال : هذا إذا بقيا على قيد الحياة ... ولكن أين "كيرلي ايبولينو" ؟ فاني لم أعر عليه بعد ؟

- لقد سمعت أنه في "بوتسبرج" ولست أدري الحقيقة .

وابتسم "كوبين" وقال في نفسه :

- يا لسخرية الأقدار ... لقد جئت هذه البلاد لأقضي على "الرفيق الكبير" فإذا بي أخدمه عن غير قصد بتخليصه من شركائه في الميراث ليت شعري هل خطر ببال "فالكروس" وهو يستنجد بي أنني سأخدم بعلمي غرضين متناقضين : العدالة .. والجريمة .. !

والتفت "فاي إدواردس" إلى "كوبين" وقالت :

أتريد أن تعرف شيئا آخر ؟

- بل أشياء كثيرة .. يمكنك أن تقول لي من هو "الرفيق الكبير" فهزت رأسها وقالت : لا يمكنني .

- ولكنك قلت إنك سترشدينني إليه .

- بل قلت إنني - اظن - أن في وسعي أن أرشدك إليه .. إنني لا أزال مترددة .. لقد وعدته بأن أكتب اسمه عن كل إنسان .

واشعل "لوبيين" سيجارة جذب منها بضعة أنفاس ثم قال :

- لنفرض أنني قابلتك صفة وأنت مع "الرقيق الكبير" فاستنتجت أن هذا هو صاحبي المنشود دون أن ترشديني أنت إلى ذلك فهل يثور عليك ضميرك ؟

- كلا بالتأكيد .. لقد وعدته بالأشياء باسمه وهذا كل ما هنالك .

- شكرا لك .. إنني راض إنني بأن ترشديني إلى مكان يتريد عليه "الرقيق الكبير" .. وليكن في هذا المكان مائة شخص أو ألف فإني لن أعجز عن تمييزه من بينهم .

فأحنت رأسها وقالت : سأفعل .

ثم ألقت بسيجارتها من نافذة السيارة وقالت في صوت هادئ ثابت:

- لقد سمعت عنك بمجرد وصولك .. وكنت أتمنى أن أراك فلما رايتك

لم أعد أعيا بشيء في الدنيا .. أصبحت أنت في عيني الدنيا بأسرها ..

لقد انتظرتك طول حياتي فهل اتخلي عنك أو أتردد في أمر يتصل بك

.. لقد كانت حياتي جدياء أما الآن .

وكان "لوبيين" في حيرة من أمره وهو يصغي إلى هذه الكلمات ! لم

يكن في إمكانه أن يلقي بترأعيه حول عنقها ويجتنبها إلى صدره

وهناك في إنجلترا فتاة أخرى تنتظر عودته بفروغ صبر .. ولم يكن في

إمكانه أيضا أن يقول لها إنه ليس خلي القلب .

ولكنها لم تكن تنتظر منه جوابا .. كانت كأنما تخاطب نفسها بهذه

الكلمات فما انفرجت عنها شفتاها حتى انطلقت ثانية بالسيارة وهي

تقول مغيرة مجرى الحديث :

- إن "الرقيق الكبير" معجب بك أشد الإعجاب . ولشد ما كان يتمنى

أن يضمك إلى رجاله .. ولكنه كان يعلم أن العصابة ناقمة عليك لفتك

ببعض زعمائها فأوصاني بأن أترفق بك إذا وقعت في أيديهم وأن

أحاول أن أحميك وأنقذك من نعمتهم .. لقد كان يعتقد أن سيجيء يوم

يتمكن فيه من أن يضمك إليه . وأوقفت السيارة في شارع ككسنتون

وهي تقول : أين نلتقي ؟

- ومتى يكون هذا اللقاء .. ؟

- إنني أعتقد أنني سأتيك ببعض الأنباء بعد ساعتين أو ثلاث ففكر

"كوبين" هنيهة ثم قال : اتعرفين مطعم "كريس بليني" في الشارع رقم ٤٥ .. قد لا أكون موجودا هناك ولكن في وسعك أن تتركي لي مع صاحب المطعم أي رسالة تشائين .. إنه رجل مأمون الجانب . فوضعت يدها في رفق على كتفه وهي تقول : إلى اللقاء إذن . ورفعت وجهها إليه .. وفاح في شعرها العطر المسكر .. وسرت في أوصاله نشوة ثملة . ومال فوقها "كوبين" وقبلها .. !
 وهمست الفتاة تقول في صوت رقيق : إلى اللقاء . ومشى "كوبين" إلى الفندق وهو غارق في خواطره . كان يفكر في هذه الفتاة الغامضة التي تخلت عن ماضيها وأولت ظهرها "لرفيق الكبير" خضوعا لنداء الحب !
 ثم عاد يذكر "الرفيق الكبير" . تلك اللغز الخفي الذي يتستر بالظلام دون أن يدري أحد من أمره شيئا . ولكن "كوبين" سيكشف شخصيته في تلك الليلة .. فبعد ساعتين أو ثلاث ستحمل إليه أسلاك التليفون الرسالة التي يتلف إليها وعندها تضع الحرب أوزارها .
 وبينما كان المصعد يشق طريقه إلى الطابق الأخير من فندق "استوريا" كان "كوبين" لا يزال غارقا في هذه الخواطر .
 وحين فتح باب المسكن رأى الأنوار مضاءة في جميع الغرف ولكنه لم يسمع صوت "فالكروس" يحياه كالمعتاد فقال في نفسه :
 - لا ريب أنه أقام في انتظارى طويلا فغلبه النوم وهو في مقعده .
 ودفع باب قاعة الاستقبال ودخل . وكانت مضاءة أيضا شأن بقية الغرف .
 وشعر بحركة في ركن القاعة فظن أن "فالكروس" شعر بقدومه فنهض لاستقباله ولكنه حين التفت رأى أن "فالكروس" لم يكن أحد الرجلين اللذين هما لاستقباله .. !
 ورفع "كوبين" يده على عجل ليطفئ نور القاعة ف شعر في الحال بوخزة اليمه في نراعه .. ولأول مرة منذ ثلاث ساعات - ذكر الرصاصه التي أصابت كتفه..! لقد جعلت عضلاته متصلبة عاجزة عن سرعة الحركة . فقبل أن تبلغ يده الزر الكهربائي كان هناك مسس قد صوب إليه . وسمع صوتا يقول : إياك أن تتحرك .. وإلا فالويل .. !

الفصل الثامن

التفت كوين إلى الرجلين وقال : يا للمفاجأة السعيدة .. ! إنني أحب دائما ان استقبل أصدقائي على غير انتظار .. !

ولقد نطق بهذه الجملة في بساطة وقلة اكتراث ولكن أدهشه تهدج صوته والقي نظرة على المقعد الكبير الذي اعتاد أن يرى بيل فالكروس جالسا عليه . وقال - ولكن ماذا فعلتما بـ "بيل" ؟

فصاح الرجل البدين : من يكون "بيل" .. ؟

فابتسم كوين وقال :

- إنني أسف .. لالتهما بما أقول .. "بيل" مجرد اسم خيالي .. ولكن لداعي لأن تذكرنا لي اسميكما .. فانت بضخامتك لابد أن تكون "هاردي" وصاحبك الضئيل الهزيل لابد أن يكون "كوريل" .. ! مرحبا بكما يا "كوريل" و"هاردي" .. لقد رايت كثيرا من أفلامكما .. وهذا اللقاء فرصة سعيدة .

فتبادل الرجلان نظرة غيظ وقال الذي نعته كوين بأنه "كوريل" :

- إنه مجنون .. لابد أن يكون مجنونا .. !

ولقد سمع كوين عشرات من الناس ينعتونه بالجنون فكان لا يحفل بما يقولون .. أما الآن ولأول مرة فقد أدرك أنه مجنون حقا ..

فلو لم يكن مجنونا لما دخل المسكن دون أن يتخذ أية حيلة .. لو لم يكن مجنونا لرأبه رؤية الأنوار مضاعة في جميع الغرف .

ولكنه كان مجنونا .. وكان منهكما في التفكير في المقابلة المنتظرة بينه وبين "الرفيق الكبير" . وجعل يتأمل الرجل في اهتمام ، وتقدم "هاردي" إلى وسط الغرفة ودار حول المائدة وشرع يفتش كوين فجرده من مسدسه ورماه إلى صاحبه ثم وضع مسدسه الخاص في جيبه وهو يقول في صوت أجش : والآن ما اسمك .. ؟

فقال كوين في صوت مرح :

- إنهم يسمونني "رولف فالنتينو" فما اسمك أنت .. ؟

فقطب الرجل البدين جبينه وقست عيناه وقال مزجرا :

- إنك تعرفنا دون شك .

- لم أتشرف بعد بمعرفتكما .. لقد خمنت أنكما "لوريل" و"هاردي"
ولكن يظهر أنني كنت مخطئا .

- إنني أدعى "كيتري" .. وهذا هو البوليس السري "يوناشي" .. إننا
من رجال البوليس فهل أنت راض .. ؟

وكان الرضاء أقل ما يمكن أن يوصف به شعور "أرسين لوبين" في
هذه اللحظة فما خطر له عند دخوله الغرفة أن هذين الرجلين من
الشرطة .. بل ظن أنهما من رجال العصابة جاء ليفتكا به . وكان
يتوقع مابين لحظة وأخرى أن يرى سيلا من النار ينهمر من المسسات
ليرديه قتيلا .

ونظر "لوبين" إلى حذائي الرجلين الضخمين وقال :

- لقد خمنت .. إن الحذاء الضخم هو بطاقة رجال البوليس إنني
سعيد بقبوضكما فلاشك أن رسالتني بلغتكما ؟

- أية رسالة .. ؟

- الرسالة التي دعوتكما فيها إلى الحضور .

فضاقت عينا "كيتري" وقال : هل أنت صاحب هذه الرسالة ؟

- بكل تأكيد .. لقد كنت مشغولا فعهدت إلى صديق لي بأن يؤديها
بالنيابة عني .

فهو الشرطي الضخم رأسه وقال :

- هذا بديع . ! ولماذا أريت أن تستدعينا ؟

ولم يكن "لوبين" في الواقع قد أنفذ إليهما رسالة كما ادعى ولكنه
تعمد بأن يقول ذلك ليسترجعهما إلى الحديث حتى يتبين الحقيقة .

ولكن من الذي وشى به وأرشد البوليس إلى هذا المسكن .. ؟ "فاي
انواريس" ولكنها لا تعرف مخبأه .. ؟ سائق السيارة الذي أركبه يوم
مصرع "بابيلوس" .. ولكن كيف عرف السائق المخبأ وقد حرص "لوبين"
على تضليله ؟

وعاد "كيتري" يقول مرردا سؤاله : لماذا استدعيتنا .. ؟

- لقد ظننت أنه يهمكما أن تعرفا نبا عن "الرفيق الكبير" .

فقال الشرطي في شيء من الدهشة : حقا .. !

ثم استحالت دهشته غضبا وصاح في صوت مئو كالرعد :

- أيها الكذاب القذر .. هل تهزأ بي .. ؟ لقد قال صاحب الرسالة
التليفونية 'إنني الرفيق الكبير .. ستجدون 'أرسين لوبين' في الطابق
الذي يشغله مستر 'فالكروس' في فندق 'استوريا' .. عليكم به فقد
ضقت به ذرعا ..

فهز 'لوبين' رأسه وقال :

- لابد أنه كان سكران .

ولكنه عرف أن الذي وشي به هو 'الرفيق الكبير' .. ولكن كيف اهتدى
إلى مخبئه .. ؟

وكان 'كيتري' يحدق في وجه 'لوبين' فقال بغتة :

- لقد عرفتك .. أنت 'أرسين لوبين' .

فتمتم 'لوبين' قائلا :

- اهتذك أيها الأخ .. إنك دقيق الملاحظة متوقد الذكاء .

فلم يرق هذا المزاح في نظر الشرطي واحمر وجهه غضبا وصاح
قائلا :

- امزح ماشئت فبعد قليل سيجيء دوري في المزاح الأولى بك أن
تجيب على ماتسال عنه في صدق وصراحة قبل أن يستولي عليّ
الغضب .

وأخى 'لوبين' رأسه دون أن يتكلم - كان يفكر في مصيره ومستقبله ..
أتكون هذه هي النهاية .. ؟ اقضي عليه بأن يختتم حياته بهذه
الهزيمة السخيفة ؟ لقد نجا عشرات المرات من شرطة تعد أنكى قوم في
العالم فهل يقع فريسة سهلة بين أيدي هذين الغبيين .. ؟

وتكلم 'لوبين' قائلا : وما هذه الأسئلة التي تريد أن توجهها إليّ ؟

فصاح 'كيتري' قائلا : أين ذلك المدعو 'فالكروس' ؟

- لا أدري .

وكان 'لوبين' صانقا في هذا الجواب .

وقبل أن يدري ماحدث كان 'كيتري' قد رفع قبضته الضخمة وسدد
إلى فكه لكمة جعلته يترنح ويصطدم بالجدار خلفه .

وصاح 'كيتري' للمرة الثانية : أين 'فالكروس' ؟

وللمرة الثانية أجاب 'لوبين' قائلا :

- لا أدري !

ولكنه عقب بقوله : لقد رأيته لأخر مرة في قفص القروود بحديقة الحيوانات متكرراً على هيئة رجال البوليس السري !
وللمرة الثانية ارتفعت يد "كيتري" ولكمت "كوبين" فاستند المسكين إلى الباب خشية السقوط إذ كان على غاية من الإعياء بسبب ما نزل من جرحه من الدماء.

- قلت لك أين "الكروس" ؟

وهز "كوبين" رأسه دون أن يتكلم لأن سمعه كان يطن وعينيه زالجتان وقوته تكاد تخونه . ولكن "كيتري" لم يكن يعرف معنى للرحمة فصاح في صوت غاضب قائلاً :

- إذن فانت لا تنوي أن تتكلم .. ؟

فقال "كوبين" في كلمات متقطعة :

- إن من عادتي ألا أتكلم مع القروود .. إذا كنت تعتقد أنك بالكلمات تصبح شرطياً سرياً فانت بلا شك أنتي رجال الشرطة .
وأحمرت عينا "كيتري" وصاح : إنني سأعرف كيف أرغمك على الكلام .
ورفع يده للمرة الثالثة ولكم "كوبين" في فكه فترنح وأمسك بالمائدة لكيلا يقع على الأرض .

وبدا منه "كيتري" وأخذ بتلابيبه وجعل يهزه هزاً عنيفاً . ولأول مرة فطن إلى الدماء التي تلوث ثيابه وإلى الضمادات المعقودة حول كتفه فقال في غلظة : كيف أصابك هذا الجرح ؟
- عضتني نملة !

وأمسك "كيتري" بذراع "كوبين" المصاب ولواها خلف ظهره في عنف .
فاحس "كوبين" بال ألم شديد يسري في بدنه وشعر كأنما يوشك أن يفقد الوعي وكان موقناً أن احتماله لن يطول .

ولكن رجال البوليس الأمريكي ما كانوا ليرحموا إنساناً حتى ولو راوه مسجى على فراش الموت إذ لا بد من أن ينتزعوا منه الاعترافات باتباعهم الطريقة التي يطلقون عليها "الدرجة الثالثة" .. وهي طريقة تقتضي منهم أن يضربوا المتهم بهراوة من المطاط وأن يرغموه على عدم النوم بضعة أيام وأن يلووا نراعه خلف ظهره ولو كان جريحاً

تقطر منه الدماء .

وفي تلك اللحظة دق جرس الباب فقال "كيتري" مخاطبا زميله :

- انظر من الطارق .

وخرج "بوناشي" إلى الردهة بينما ظل "كيتري" قابضا على ذراع "لويين" وهو يلويه خلف ظهره منتظرا دخول القادم .

ولم يكن القادم إلا المفتش "فرساك" !

ووقف "فرساك" على عتبة الغرفة وأزاح قبعته إلى الوراء وأخذ المكان بنظرة شاملة ولم يكن في وجهه ما ينم عن الدهشة أو العجب .

وقال في صوت بارد : ما هذا ؟

فاجابه "كيتري" في لهجة تدل على الزهو : لقد اقتنصنا "أرسين لويين" ولكن المدعو "فالكروس" غير موجود الآن . ولكنني ساعرف كيف أرغم هذا الآخر على الكلام . لقد شرعت أجرب معه الدرجة الثالثة .

فصاح المفتش "فرساك" في صوت يدوي كالرعد : ماذا تقول ؟ شرعت أجرب معه الدرجة الثالثة ؟ يالك من مجنون ! من علمك أن تفعل هذا هنا ؟

فازبد "كيتري" ريقه وقال في ارتباك : ولكنه لا يريد أن يتكلم أيها الرئيس . كان يفزع ويهزأ بنا كان الأمر هزل لاجد . وكنت أريد أن أعرف أين ذهب "فالكروس" ؟

فقال "فرساك" متهمكا : وهل هذا هو ما تعلمته في إدارة البوليس .. يالها من فكرة بديعة ! استمر في عملك يا "كيتري" يمكنك أن تقلب المقاعد والموائد .. يمكنك أن تدق الطبول وتقرع الأجراس .. يمكنك أن توقظ أهل الفندق جميعا وأن تستدعي مخبري الصحف حتى يشهدوا كيف يعذب البوليس المتهمين ، يالك من غبي ! أهذا مكان يصلح للدرجة الثالثة ؟

وانكمش "كيتري" الضخم العملاق أمام كلمات رئيسه وصاح "فرساك" قائلا : - دع "لويين" واستدع إحدى السيارات وانتظرني عند الباب حتى أنزل إليك .. أما أنت يا "بوناشي" فانتظر "فالكروس" هنا حتى يحضر .

وكان "لويين" شديد الإعجاب بما لـ "فرساك" من الباس في نظره

مرفؤسه فقد خرج 'كيتري' من القاعة وهو يتعثر في خطواته على حين انزوى 'بوناشي' في احد الأركان .

ونظر 'فرسك' إلى 'لوبيين' طويلا وراى الدماء العالقة بثوبه . ولكن وجهه كان على عهده جامدا لا ينم عن شيء كأنه نحت من الجرانيت ١ ثم قال فجأة : تعال معي .

واخذ بنزاع 'لوبيين' وقاده إلى المصعد فهبطا إلى الطابق الأرضي دون ان يتبادلا كلمة واحدة .

وكان 'كيتري' في انتظارهما داخل السيارة فصعدا إليها وأمر المفتش السائق بالمسير .

وبعد فترة من الوقت وقفت السيارة فخرج منها 'فرسك' وقال :

- انزل هنا .. لقد وصلنا .

وكان 'لوبيين' يتوقع ان يجد نفسه أمام المركز العام لإدارة البوليس ولكن 'فرسك' التفت إليه وإلى 'كيتري' وقال : هذا هو مسكني ١ .

ثم وجه حديثه إلى 'كيتري' قائلا : يمكنك ان تنصرف يا 'كيتري' على ان ترجع إلي في الصباح فإن لي حديثا مع 'لوبيين' . طاب مساؤك .

ثم أخذ بنزاع 'لوبيين' ثانية وقاده إلى المزل تاركا وراءه 'كيتري' مذهولا يسائل نفسه عن السر في هذا السلوك الشاذ الذي ظهر به رئيسه .

وعندما دخل 'لوبيين' إلى المسكن انهشه ان يجد قاعة الاستقبال عامرة بالكتب إذ المعروف عن رجال البوليس أنهم أقل الناس شغفا بالاطلاع والقراءة وفطن 'فرسك' إلى دهشة أسيره فقال : على المرء أن يطلب العلم ولو كان في أرذل العمر . إنني مولع بالآلب الإغريقي القديم ألم تسمع من قبل عن شاعر يدعى 'هوميروس' ؟ لقد سألته عنه موظفا في إحدى الشركات فأكد لي أنه لابد أن يكون من زعماء العصابات في شيكاغو .

وعلق 'فرسك' قبعته على الشماعة وتناول زجاجة من فوق المائدة وقال :

- هل لك في قدح من الشراب ؟

- شكرا لك .

وصب "فرسك" الشراب في كأس صغيرة وقدمها إلى "لوين" بينما
اشعل سيجارة وأخذ يدخن في هدوء .

ثم قال فجأة في اقتضاب : إنك مجنون يا "لوين" .. ١

فهز "لوين" كتفيه وقال : السنا كلنا مجانين ؟

- لقد أريت أن أقول إنك أكبر المجانين . لقد تحدثت إليك مرة
وانذرتك بما سيكون ولا شك أنك تعرف الآن مايقضي به عليّ الواجب .

فصاح "لوين" في صوت غاضب : إني أعرف .. ومن يقابل مسامحك
كـ"بـتري" لابد أن يعرف .. هيا اعد الهراوة وجهاز آلات التعذيب .. ١

فقال "فرسك" في صوت هادئ : لقد عرفنا بالتجربة أن "الدرجة
الثالثة" أصلح وسيلة لانتزاع الاعترافات من المجرمين .. ولكنني لا

أحب أن استعملها مع جميع الناس بلا استثناء .. لقد اتيت بك إلى
بيتي لتحدث في مسألة أخرى.. ألم تقترب بعد من "الرفيق الكبير" ؟

وقد القى "فرسك" السؤال في صراحة وبون مواربة فآثر "لوين" أن
يعمد في جوابه إلى نفس هذه الصراحة فقال : إني أنتظر رسالة

تليفونية تصلني بعد ساعة .. وستكون هذه الرسالة طريقي إلى
"الرفيق الكبير" .

وهز "فرسك" رأسه وجعل يتفكر هنيهة في وجه "لوين" ثم قال :
- لن أسالك كيف بلغت في أبحاثك هذه المرحلة .. ولن أسالك عن اسم

الشخص الذي سيأتيك بهذه الرسالة .. إني أعرف أنك داهية أريب .
وساد الصمت هنيهة ثم مد "فرسك" يده في جيبه وأخرج مسدسه

وهو يقول:

- إن للمسدسات نفعا عظيما في مثل هذه المعارك .. فلو لم يصبك
هذا الجرح الذي في كتفك لما استحال عليك أن تتخلص من "بـتري"

و"بوناشي" ..

ولوح بمسدسه وهو يقول :

- ولو كان هذا المسدس في يدي الآن لعرفت كيف تتخلص مني .

ثم وضع المسدس على المائدة في غير اكتراث .

وكان المسدس على قيد ياربتين أو ثلاث من قبضة "لوين" فلو أنه
شاء لما تعذر عليه أن يخلطقه . ولكنه بدلا من ذلك تناول قدحه ورشف

منه جرعة أخرى وهو يقول :

- "فرساک" .. أتريد أن تلعب معي لعبة القط والفار ؟

واسترسل "فرساک" يقول كأنما لم يسمع هذه الجملة :

- لو أنك اختطفت هذا المسدس الآن لأوقعنني في مأزق حرج لا أندري كيف الخلاص منه لا سيما بعد أن أتيت بك إلى بيتي وأمرت "كيتري" بالانصراف فإن اللوائح تحرم على رجال البوليس أن يذهبوا بالمتهمين إلى دورهم . وفصلاً عن هذا فقد كان ينبغي أن أمر "كيتري" بالبقاء لينضم إلي إذا خطر لك أن تتخلص مني .. فإذا حدث الآن أنك هربت فلن يصفح عني رؤسائي ولن أستمّر في منصبي يوماً واحداً .. أليس معي في ذلك يا "كوبين" ؟

ولبت "كوبين" مكانه صامتاً لا يتكلم وهو يدخل سيارته .

ونفض "فرساک" واقفاً ومشى إلى ركن الغرفة وفتح دولاباً صغيراً قائماً هناك ليأتي بصندوق السجائر .

وكان المسدس لا يزال على المنضدة في متناول يد "أرسين كوبين" . وكان "فرساک" مولياً ظهره نحوه لا يلتفت إليه .. فلو أن "كوبين" مد يده وأخذ المسدس لما رآه "فرساک" .. ولو رآه لاستحال عليه أن يمنعه .

وقال "فرساک" وهو لا يزال في ركن الغرفة :

- ولكن يمكنني أن أقول من الناحية الأخرى إن هناك حوائث جساماً قد تقع حتى الصباح .. فمن ذلك مثلاً أن "الرفيق الكبير" قد يقع في أيدي البوليس .. إن الشعب يريد "الرفيق الكبير" أكثر مما يريدك أنت .. ومهما فعل الشرطي الذي يقبض على "الرفيق الكبير" فلن يجزئ السياسيون على طرده من منصبه خشية غضب الشعب .. فإذا فرضنا أنك هربت مني فلن يجزئ أحد على أن يرفع يده في وجهي إذا أنا تمكنت من اقتناص "الرفيق الكبير" .

ورجع "فرساک" إلى مقعده وكان المسدس لا يزال في موضعه على المنضدة فقال يخاطب "كوبين" : حقاً إنك رجل شريف .

وتكلم "كوبين" للمرة الأولى فقال : لنفرض أنك اقتنصت "الرفيق الكبير" فهل لذلك فائدة ؟ ليس في "نيويورك" من رآه أو عرفه فكيف تثبت ضده التهمة ؟ من أين لك الشهود الذين يقسمون بأن هذا هو

الرفيق الكبير ٩

فقال "فرسك" في صوت ذي خبرة كأنها حد السيف :

- إنني لست في حاجة إلى الشهود .. إذا جاعني رجل مثلك وقدم إلي شخصا وقال : "هذا هو الرفيق الكبير" فقد كفاني هذا برهانا قاطعا ..
إنني أومن بكل كلمة ينطق بها رجل مثلك .. وإذا ما وقع "الرفيق الكبير" في يدي عرفت كيف انتزع منه اعترافا كاملا .. إن "الدرجة الثالثة" لم تخلق عبثا .

واطفأ "لوبيين" سيجارته في المنفضة وقد سرت في عروقه دماء جديدة . وخيل إليه على رغم قوته المنهكة أنه أصبح أهلا للقتال .. ودوت في أذنيه طبول الحرب وذهب عنه هذا الضعف الذي كان يشعر به حتى لقد خيل إليه أن الدماء التي فُرِغت من جرحه جددت نشاطه ولم تنهكه . كان يشعر في هذه اللحظة بأنه ليس أهلا لمقاتلة "الرفيق الكبير" فحسب . وإنما لمقاتلة عشرات من أمثاله .

ونَهَض واقفا وتناول المسدس قدسه في جيبه وقال مخاطبا "فرسك":

- شكرا لك .. ساعود إليك في العاشرة صباحا .. مع "الرفيق الكبير" أو بدونه .. !

فقال "فرسك" إلى اللقاء إنن وأرجو لك التوفيق .

وبعد دقائق كان "أرسين لوبيين" يغادر البيت و"فرسك" يوصد الباب خلفه .

* * *

لم يكد "لوبيين" يديق الجرس حتى فتحت كوة صغيرة في الباب ظهر خلفها "كريس بليني" فعرف زائره على الفور واستقبله في ترحاب ملموس :

- ادخل يامسيو "لوبيين" .. إنني سعيد بأن أراك مرة أخرى .

ومشى أمامه صوب القاعة فقال له "لوبيين" : هل لديك أحد ؟

فهن "كريس" رأسه وقال :

- كلا .. لقد أنصرف "الأولاد" فلا تخش شيئا .

وأجلس "لوبيين" إلى إحدى الموائد وأتاه بكاس وزجاجة من الشراب

ولما فطن إلى الدماء العالقة بثوبه تجهم وجهه وقال :

- ألم تعرض نفسك على طبيب ؟

- بلى .. والإصابة بسيطة فكن مطمئنا .

وهز كريس رأسه وقال :

- إن الشيء الذي يحيرني هو بقاؤك حيا حتى اليوم .

وكان كريس وهو يتكلم يتظاهر بعدم الاهتمام والمرح .. ولكن لم يخف على كوين أن نبرات صوته تنم على قلقه وانزعاجه فقال له :

- كن مطمئنا .. إن هذه الإصابة لن تقتلني .. قال الطبيب إنني قد أصاب بحمى خفيفة .. وهذا هو الشر الوحيد الذي أنزلته بي هذه الرصاصة .

وفي هذه اللحظة بق جرس التليفون فانبعث كوين واقفا وهو يقول :

- انظن هذا الداء لي .

وتناول السماعة ووضعها على أذنه فسمع صوتا خشنا يقول :

- هالو .. أهذه أنت يا "مايبل" ؟

فقال كوين في حق : كلا .. أنني لست "مايبل" .. وإنني أرجو إذا عثرت عليها أن تغمد خنجرها في صدرها !

ورد السماعة إلى مكانها في الوقت الذي كان فيه مستر "بانج" يسب ويلعن عند الطرف الآخر من السلك .

ورجع كوين إلى مقعده في خطوات بطيئة متراخية تدل على الإعياء إذ كانت الحمى قد بدأت مفعولها فضلا عن الصدمة العصبية التي أصابته حين خاب رجاءه في الحديث التليفوني .

وبعد عشر دقائق بق جرس التليفون للمرة الثانية فنهض واقفا وقد تجدد نشاطه ولما تناول السماعة سمع صوتا نسائيا يقول :

- إنني "فاي" .

ووثب قلب كوين في صدره واشتدت قبضته على السماعة والصقها بأذنه بشدة كأنما يخشى أن تفلت منه الكلمات .

وقال كوين يسالها :

- ماوراءك من الأنباء ؟

- لقد بحثت عنه طويلا فلم أهدأ إليه بعد .. ولكنني تركت له أكثر من رسالة وأغلب ظني أنني ساراه الليلة ولو لبثت ساهرة حتى الصباح .

- إنن ساظل في انتظارك هنا .

فقالت الفتاة في رفق :

- يحسن بك أن تنشد شيئا من الراحة .

وكان صوتها موسيقيا عذبا فياضا بالحنان والرحمة .

واجابها "لوبين" بقوله : لن تطيب لي الراحة إلا إذا اهتبت إليه .

ولما رجع إلى مقعده قال له كريس :

- إنك بادي الإعياء فلم لا تنام قليلا .. ؟ إن لدي فراشا في الطابق

الأعلى .

- ومن يلبي التليفون إذا استدعاني ؟

- إن نومي خفيف فكن مطمئنا .

وترد "لوبين" قليلا ولكنه كان يشعر بمسيس الحاجة إلى الراحة

وفضلا عن هذا فلم يكن في وسعه أن يعمل شيئا إلا إذا بلغته رسالة

"فاي انواريس" فلن يفيد شيئا بقاؤه مستيقظا .

واستيقظ "لوبين" في الصباح والشمس تغمر الأرض و"بلييني" واقف

عند رأسه يذأبه .

فلما فتح عينيه قال له الإيطالي : إنك مطلوب على التليفون فنظر

"لوبين" في ساعته فوجد أنها تشير إلى الثامنة صباحا فنهض مسرعا

ونزل إلى الطابق الأرضي وهو يحس أنه استرد نشاطه وقوته .

ولما وضع السماعة على أذنه سمع الصوت الموسيقي المحبوب يقول :

- لقد سرني أنك نمت واسترحت .

وقال "لوبين" مجيبا : لقد أفادني النوم قوة ونشاطا وفي وسعي الآن

أن أقاتل ثورا فما لديك من الأنباء يا "فاي" ؟

- هل يمكنك أن تذهب في الساعة التاسعة إلى بنك "فانريك" ؟ إنني

اعتقد أنك ستجد هناك من تبحث عنه .

فوثب قلب "لوبين" فرحا ولبث صامتا هنيهة خاطفة ثم قال :

- ساكون هناك .

- وسأوافيك في الموعد .. فألى اللقاء .

وجلس "لوبين" إلى مائدة الفطور فتناول طعامه في شهية وشرب

قدحا كبيرا من القهوة ثم طلب رقما معيناً هو رقم ذلك السائق الذي

أركبه سيارته يوم مصرع "بابيلوس" .

وقال يخاطب السائق تليفونيا : أهذا انت يا "باستيان" ؟ ألم تقل

إنك على استعداد لأن تخدمني إذا احتجت إليك ؟
فصاح السائق في ابتهاج قائلا : إنني لأجلك مستعد لأن أقدم على أي شيء.. لن أتردد حتى ولو سألتني أن أسرق لك البنك الدولي .
فابتسم "كوبين" وقال :

- وسأنتقلك أجراً طيباً .. فهل لك في مقابلتي بعد ربيع ساعة عند ملتقى الشارع رقم ٤٤ بشارع "كسنجتون" ؟
وكانت السيارة في انتظاره في المكان المحدد فلما رآه السائق مقبلاً هتف به : أسرع بالصعود قبل أن يفطن أحد إلى هذه الأريطة والضمادات .

وصعد "كوبين" إلى السيارة وهو يقول للسائق :
- انذهب بي إلى بنك "فاندريك"

ولما بلغت السيارة باب المصرف قال "كوبين" :
- قف بنا في أقرب مكان من المدخل .. إنني لن أنزل الآن من السيارة ولكن إذا رأيتني أغارها فلا تتحرك من مكانك ولا توقف المحرك وكن مستعداً للفرار بمجرد رجوعي . وأعلم أنني سأعود ومعني شخص سأنكر اسمه فيما بعد .

فهز السائق رأسه علامة الموافقة .

وأشعل "كوبين" سيجارة وأخذ يدخن وهو غارق في خواطره وأفكاره كان باب البنك لا يزال مغلقاً إذ لم يحن بعد موعد فتحه . ولكن عينه كانت مابين لحظة وأخرى تستقر على الباب في قلق ولهفة وهو يسائل نفسه عن اللس الذي سيكشف عنه هذا الانتظار .

اتراه سيظفر حقاً "بالرفيق الكبير" ؟ أم سيضطر إلى البر بوعده فيعود إلى "فرسانه" ويقدم إليه يديه ليضع فيهما القيد الحديدي ؟
اتراه سيتمكن من إنجاز مهمته وأداء واجبه نحو العدالة بالقبض على "الرفيق الكبير" الذي غمر المدينة بالجنث والدماء أم سينكص على عقبيه مخذولاً مقهوراً ؟

وبدأت الساعة ترسل دقائقها التسع .

ونظر "كوبين" في ساعته كأنما لا يصدق مايسمع إنذاه .

وتحرك حارس الباب وأخذ يفتحه ليستقبل العملاء .

وتوترت أعصاب "كوبين" وجرت الدماء حارة في عروقه حين شعر باقتراب اللحظة الحاسمة . وأخذ يقول في نفسه :

- ليت شعري من هو "الرفيق الكبير" ؟ نعم .. من هو "الرفيق الكبير" ؟ من هو ذلك الرجل الذي جمع من الدماء عشرين مليوناً من الدولارات ؟ وما الذي يدعوهُ إلى المجيء للبنك ؟ اتراه قد أودعه هذه الملايين ؟

وجعل كوين ينظر في ساعته ويتفحص وجوه العشرات من الناس الذين هرعوا إلى البنك عندما فتحت أبوابه .

كانت هذه اللحظة حاسمة في تاريخ حياته .. ومجده .. وانتصاراته .. وماضيه .. كلها معلقة بما ستكشف عنه هذه اللحظة .

وعلى حين فجأة رأى صديقه "فالكروس" مقبلاً فنبسي كل شيء عند هذا ونزل من السيارة وبنا منه ووضع يده على كتفه في رفق فدار هذا على عقبه ولما رأى كوين أمامه اتسعت عيناه بهشة وهتف قائلاً :

- أهذا أنت يا كوين .. ؟ ما كنت أتوقع أن تستيقظ مبكراً في مثل هذه الساعة ؟

فابتسم كوين وقال :

- بل إنني لم أكد أنوق النوم .. ولكن أين كنت ؟

- ألم تظن إلى رسالتي ؟ لقد تركت لك رسالة على رخامة الموقدة .

فهز كوين رأسه وقال :

- كانت هناك أسباب حالت دوني والبحث عن رسالتك ... ولكن تعال

معي إلى سيارتي فإني لا أريد أن يراني أحد في هذا المكان .

وأخذ بذراع "فالكروس" وقاده إلى السيارة .

وطلب إليه كوين الانتظار وعدم الانطلاق بالسيارة إذ لم يحن اوان ذلك بعد .

وعاد كوين يسأل "فالكروس" بقوله : ولكن أين كنت ؟

- لقد سافرت إلى "بتسبرج" بالطيارة لعمل فجائي استدعى ذلك وتناولت العشاء مع صديق لي ثم عنت الآن بالطيارة .

- ألم تذهب إلى الفندق بعد ؟

- نعم لم أذهب .

- هذا من حسن حظك .. فإن في انتظارك هناك شرطياً يريد أن

يسالك عن السبب الذي جعلك تؤوي تحت سقفك رجلاً خطراً مثلي .

فبدت أمارات الدهشة على وجه "فالكروس" وقال :

- يا إلهي ! ولكن كيف عرفوا أنك ..

- لا انري .. وكل ما هنالك ان "الرفيق الكبير" اتصل بهم تليفونيا وارشدهم إلى مخبلي و اوصاهم بي خيرا قائلا : "إنه ضاق بي نرعا ويلوح لي ان القنوط انركه إذ رأني أفلت من عصابته مرة بعد مرة فأراد أن يغري بي البوليس عله يكون أسعد حظا ... ولكن المهم الآن هو إخراجك أنت من هذه الورطة .. إذا سللت عني فقل إنك لا تعرف شيئا وإن من المحتمل أني حضرت إلى المسكن بقصد السطو عليه .

- ولكن ماذا يكون من أمرك أنت ؟ ألا تنوي أن تهرب ؟
فارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي "لويين" وقال :
- بل سانتظر حتى أظفر بالمليون دولار التي وعدتني بها .
ثم انشا يحدثه بما وقع في الليلة الماضية واختتم حديثه بقوله :
- وكان المفتش "فرسك" أطلق سراحني على شرط أن آتية "بالرفيق الكبير" . وقد جلث إلى هذا البنك لأن "فاي ادواردس" سترشدني إلى "الرفيق الكبير" .

فصاح "فالكروس" قائلا : "فاي ادواردس" سترشدك إلى "الرفيق الكبير" .. ! إنن فهي ستخلي عنه بعد أن انتشلها من وهدة الفقر والفاقة كما ذكرت لك !

وساد الصمت هنيهة ثم قال "فالكروس" :

- ما أعجب النساء . !

هذه امرأة تتسلط على المدينة بأسرها وتنتشر عليها الرعب والفزع وياتمر بامرها عشرات من الرجال يفرقون المدينة في الحديد والنار تلبية لإشارة من يدها .. ومع ذلك تتخلي عن هذا المجد .. لماذا ؟ لأنها احبت رجلا مثلك .. مغامرا جسورا . لا اسم له ولا وطن .. ! حقا إن المرأة لغز غامض .. !

وفي تلك اللحظة مر باعة الصحف يتأبون ويصرخون فابتاع "فالكروس" إحداها وما كاد ينظر فيها حتى هتف قائلا :

- انظر .. ! ها هو ذا الشخص السادس والأخير قد قتل !

فقد نشرت الصحف بالخط العريض أن أحد زعماء العصابات المدعو "كيرلي ايبولينو" والمقيم في مدينة "بتسبرج" قد قتل في الليلة الماضية بيد شخص مجهول .

واسترسل "فالكروس" قائلا :

- الآن .. انتهت مهمتك العظيمة وصار المليون دولار حقا لك لقد استدعيك إلى هذه البلاد لتفتقهم لمصرع ابني بأن تقتل ستة من زعماء العصابات . وقد قتلت خمسة منهم وها هو ذا السادس قد قتل أيضا فليس ثمة ما يدعوك إلى البقاء . إن في بقائك خطرا على نفسك وأنت تعلم أن البوليس يجد في إثرك . فعد إلى بلادك .. بادر إلى الفرار .. وخذ معك المليون دولار .

فقال "لوبيين" معترضا : و"الرفيق الكبير" ؟

- ولكنك تعلم أنني لم أسألك أن تقتل "الرفيق الكبير" . ! إنه شخص لا خطر منه .. إنه ذهن جبار ليس إلا ... يدير ويحرك ويضع الخطط .. ولكن بمفرده لا يستطيع أن يعمل شيئا .. إنه كالطير إذا قص جناحاه عجز عن الطيران .. وقد قص الجناحان بمصرع زعماء العصابة الستة فوجود "الرفيق الكبير" وموته سيان . إنك أنت الذي ضممته إلى القائمة على غير رأيي فلن أطلبك بقتله .. ساتيك الآن بالمليون دولار فخذها واهرب وإلا وقعت في أيدي البوليس .

ونزل "فالكروس" من السيارة ومشى متجها إلى برج البنك ، واخذ "لوبيين" يتابعه بعينه وقد ارتسمت فيهما نظرة غريبة .. نظرة تدل على أن فكرة غريبة قد وثبتت إلى ذهنه ! وفي هذه اللحظة وقفت سيارة عند الأبريز وخرجت منها "فاني ادواردس" .

* * *

لم يكد "لوبيين" يراها حتى فتح باب سيارته وقفز إلى الأرض . وإذا ذاك رأى أن الفتاة لم تكن تنتظر إليه وإنما كانت مرسلة بصرها إلى "فالكروس" .

ولم يكن هناك ما يدعوها إلى الكلام .. ولم يكن هناك ما يدعوه إلى توجيه الأسئلة ! كانت هذه النظرة الفصح من كل سؤال وجواب !
"فالكروس" هو "الرفيق الكبير" !

ولم تكن الفتاة قد فطنت بعد إلى وجود "لوبيين" .. كانت لا تزال تنظر إلى "فالكروس" . هذه النظرة الخاطفة . الفصيحة . البليغة . هذه النظرة التي جمعت كل ما يبغيه "لوبيين" . وارتفع الستار واكتشف الماضي كله . وتدفقت إلى ذهن "لوبيين" الحقائق القديمة . والأسماء والكلمات ..

والحوادث . واخذت تنوي في انفيه . وتروح وتجيء حتى انتظمت
سلسلة منسقة متصلة الحلقات ليس لها إلا معنى واحد هو ان
"فالكروس" هو "الرفيق الكبير" !

"الرفيق الكبير" هو الذي وشى به إلى البوليس وانبأهم بمخبئه ..
ومن يعرف هذا المخبأ غير "فالكروس" ؟ !

لقد ذكرت له "فاي ادواريس" ان "كيتري ايبولينو" يقطن مدينة
"بتسبرج" .. وهاهو ذا "فالكروس" يذهب إلى "بتسبرج" بالطيارة ويعود
منها .. وهاهي ذي الصحف تعلن إلى الناس مصرع "ايبولينو" !
إنن فقد ذهب "فالكروس" إلى "بتسبرج" ليقتل "ايبولينو" لانه كان
الوحيد الذي لا يزال حيا بين زعماء العصاة فإذا مات ألت العشرون
مليوناً كلها إلى "فالكروس" وحده .

وهذا إنن هو السر في ان "الرفيق الكبير" اوصى "فاي" بان تنقذ
"لويين" وتحميه كلما وقع بين أيدي العصاة معللاً ذلك بأنه سيتمكن
في أحد الأيام من ضمه إليه . أما التعليل الحقيقي فهو أنه أراد ان
يبقي على "لويين" حتى يتم له الإجهاز على شركائه في الميراث واحداً
بعد الآخر .

والآن وقد تم هذا الإجهاز ولم يبق إلا "ايبولينو" فقد وشى به إلى
البوليس وتولى هو بنفسه التخلص من غريمه "ايبولينو" .. !
وحكاية الابن الذي اختطفته العصاة وقتلته .. ورغبة "فالكروس"
في الانتقام لولده .. ! إنها إذن حكاية ملفقة لا اصل لها ابتكرها
"فالكروس" ليتخذ منها حجة في الاستعانة بـ "لويين" .. !

وما فكر "فالكروس" في التخلص من "لويين" والوشاية به عند
البوليس لولا أن أصر هذا على اكتشاف سر "الرفيق الكبير" والقضاء
عليه مع من قضى عليهم من زعماء العصاة .

وهكذا انكشف الحجاب وتبدقت الحقائق الدامغة إلى ذهن "لويين"
ومنذ لحظات وثبت هذه الفكرة إلى دماغ "لويين" ولكنه طربها ونفاها
ولم يشأ أن يصدق أن "فالكروس" هو بعينه "الرفيق الكبير" .

اما الآن .. حين رأى تلك النظرة التي أرسلتها "فاي ادواريس" إلى
"فالكروس" فلم يعد هناك مجال للشك .

وكانت "فاي" لا تزال مسمرة في مكانها وهي تنظر إلى "فالكروس"
الذي كان قد شرع يرتقي درج البنك .

وفجأة التفت "فالكروس": خلفه فرأى الفتاة لأول مرة .. ورأى النظرة التي في عينيها .. ثم رأى "لوبيين" ورأى أيضا النظرة في عينيها ! وعرف في الحال ان امره قد انكشف .

وتبددت من عينيها امارات الرقة وطيبة القلب وارسلنا وميضاً مخيفاً كالشرر . وانقلب سحنته وتقلصت عضلات وجهه . حتى لقد خيل إلى "لوبيين" انه يرى هرة وبعدة تنقلب نمرا مفترسا .

وعلى حين بغلة امتدت يد "فالكروس" إلى جيبه الخلفي ، وكذلك فعل "لوبيين" .. ولكنه مالبث أن امرك غلطته ، كانت يده اليمنى هي التي تحركت بحكم الغريزة . ولكنه نسي الجرح الذي في ذراعه والذي يجعل استعمال هذه اليد متعذراً .. فلما شعر بالألم يمزق أوصاله رد يده عن الحركة ودفع يده اليسرى إلى جيبه .

وفي هذه اللحظة كان "فالكروس" قد أخرج مسدسه وارسل منه طلقة نارياً مر إلى جوار اذن "لوبيين" ودوى الطلق الثاني ولكن "لوبيين" لم ير اتجاهه ولم يسمع منه إلا دويه واخرج "لوبيين" مسدسه وأطلق رصاصة أصابت "فالكروس" فافلقت أصابعه المسدس وترنح وسقط على الأرض .

وجرى إليه "لوبيين" فاخذ بتلابيبه وجره إلى السيارة .
وإذ ذاك رأى "فاي انواريس" .

كانت واقفة إلى جوار السيارة مستندة إليها بإحدى يديها اما يدها الأخرى فكانت موضوعة فوق صدرها وقد انبثقت خيوط من الدماء من بين فرجات أصابعها .

وعرف "لوبيين" على الفور أين استقرت رصاصة "فالكروس" الثانية ! ولم يشعر بالحزن فحسب وإنما خيل إليه انه يختنق وان انفاسه احتبست وان قلبه كف عن الخفقان .

وفي اللحظة التالية فتح باب السيارة وألقى بـ "فالكروس" على المقعد كما تلقى الغرارة . ثم رجع إلى "فاي" فاحتواها بين ذراعيه في رفق وحملها إلى السيارة .

وكانت خفيفة كأنها طفلة ناعسة .. ولم يشعر حتى بالألم الذي يمزق كتفه .

ووضعها على المقعد في رفق وحذر كأنها تمثال من الزجاج يخشى عليه أن ينكسر .

وانطلقت السيارة بسرعة دون أن يجروا أحد من الجمهور المحتشد على التعرض لها .

ولكن رجال البوليس انطلقوا في اثرها بالموتوسيكلات والسيارات و"باستيان" ينهب الأرض ويطوي الطرقات كأنه في سباق إلى الموت لا يعبا بإشارات المرور ولا يقيم وزنا لأوامر الكونستبلات .. يدور وينعطف ويتلوى ويعرج حتى نجح أخيرا في تضليل مطاربيه والإفلات منهم .

وشعر "كوبين" بلمسة خفيفة على نراعه فنظر إلى الفتاة . كانت قد نزعَت قبعَتها فتهدل شعرها على جبينها في خصلات من الذهب . وكانت في عينيها الجميلتين ظلال خفيفة .. ولكن وجهها لبث هادئا ساكنا والشباب المتفجر منطبع على صفحته كأنما لم يكن يفترسها الموت . أما انفراج شفيتها فيمكن أن يوصف بأنه شبح ابتسامة !

وتكلمت قائلة : لآتحزن . ! لن أرافقك إلى النهاية . !

فقال "كوبين" في خشونة : هراء ! إصابتك تافهة ! وستشفين ! ولكنه كان يعلم أنه كاتب !

وكانت هي أيضا تعرف ذلك .

وهزت رأسها فترأقت خصلاتها الذهبية وقالت :

- ليس هناك ما يؤلم ! إنني لا أتعذب !

وكانت مستندة إلى صدره في استسلام كأنها طفلة متعبة .

وارسلت من صدرها تنهيدة خفيفة وقالت :

- ما كنت أظن أنني ساموت الآن !

وعقد الحزن لسانه فلم يتكلم .

ثم قالت في هدوء : قبلني ثانية يا "كوبين" !

فقبلها .

وجعلت الفتاة تتأمل وجهه كأنما تريد ألا تنسى خطأ واحداً من خطوط ملامحه .

وكانت تبتسم . وكانت في عينيها ومضات .

ورأها تستجمع أنفاسها لتتكلم ثم قالت في صوت خافت : وداعا .

ثم انغمضت عينيها وهي لا تزال تنتظر إليه .

وضع "كوبين" رأسها في رفق على وسادة السيارة . ولم يحول بصره عنها ولكنه لم يكن يرى شيئا لأن العبرات حجبت عنه وجهها . وجه

هذه الفتاة التي عاشت لأجله .. وماتت لأجله !
 وظل كويين ساكنا جامدا كأنما أدركه الموت هو أيضا .
 وخيل إليه أنه يسمع إلى جواره حركة وصوتا .
 وكان هذا هو "فالكروس" وقد بدأ يتحرك ويتكلم .
 وقال "فالكروس" في صوت متقطع ينم عن الألم والرعب :
 - إنني لا أريد أن أموت .. ! انقذتي .. خذ كل أموالني واعد إلي الحياة
 انهب بي إلى طبيب .. إن لدي عشرين مليوناً فخّنها كلها .. لا
 ابتغي إلا الحياة . انقذني .
 فصاح كويين في صوت غاضب : أصمت !
 فعاد "فالكروس" يقول متوسلا :
 - خذ ملاييني كلها . لست أريد إلا أن أعيش !
 فضربه كويين بيده على فكه وهو يقول في وحشية :
 - ويحك أيها المجنون .. ! اتظن أن ملايينك يمكن أن تعيد إلي
 ما فقدت .. !
 فانكمش المحتضر خوفاً ولاذ بالصمت . فقد كان صوت كويين أشد
 رهبة من الموت .
 وحين وقفت السيارة أمام بيت المفتش "فرسك" نزل منها كويين
 وتقدم إلى البيت فالتقى "فرسك" عند الباب .
 وأخرج كويين المسدس وقدمه إلى "فرسك" قائلا :
 - لقد بررت بوعدتي .. وهاك مسدسك !
 فمس المفتش المسدس في جيبه وقال : ألم تعثر على "الرفيق الكبير" ؟
 - إنه في السيارة .
 فاشرق وجه "فرسك" وهمس قائلا : شكرا لك .
 وأسرع إلى السيارة وفتح بابها فتدحرجت جثة "فالكروس" عند
 قدميه .
 وهنا رأى "فرسك" شيئا آخر .. رأى جثة فتاة على المقعد .. فقطب
 جبينه وجمد في مكانه . ثم قال : من هذه ؟ ..
 ولكنه لم يسمع جوابا لأن كويين كان قد اختفى ..

* * *

الخاتمة

كانت "نيويورك" بأسرها تتحدث عن "أرسين كوبين" .. !
أما في إنجلترا فكان المفتش "تيل" جالسا بين نفر من مساعديه وهو يقول :

- لقد رجع إلينا "كوبين" .. !

ثم يتنهد ويقول :

- نعم .. لقد رجع .. !

فيتنهد معه جميع مساعديه ويقولون :

- نعم لقد رجع .. !

فقد كانوا يعرفون معنى هذه العودة .. !

أما "كوبين" فكان جالسا في حديقة داره وسيجارتته بين شفتيه و"باتريشيا هولم" إلى جواره وهي تقول :

- ولكنك لم تحبذني بشيء مما وقع لك في "نيويورك" .. ؟

ولم يسمع "كوبين" سؤالها .. لأنه كان في هذه اللحظة يعيش في مكان يبعد عن لندن ثلاثة آلاف من الأميال . ولم يكن يسمع إلا صوتا واحدا . صوتا يعلو على ضجة المركبات ودوي السيارات .

وكان الصوت موسيقيا غنبا يردد في همسات ليئة :

- وداعا .. وداعا .. !

تمت